المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصَحْبه أجمعين ، وعلى مَنْ تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فلا يخفى ما لعلم التفسير من أهميةٍ كبيرةٍ وشَرَفٍ عظيم ، كيف لا ؟! وإن شرفَ العِلْم من شرف مَوْضوعه ، ولا يُوجد أشرفُ ولا أقدسُ من القرآن الكريم ، ذلكم الكتاب العظيم الذي أنزله الله سبحانه لصلاح الناس وهدايتهم في الدُّنيا والآخرة ، ولا يمكن الانتفاع بهذا الكتاب المقدَّس إلا بعد فَهْم معانيه وهذه هي وظيفة علم التفسير .

من هنا وجبت العنايةُ بهذا العِلْم الجليل ، وتنقيته مما علق به مما يشوِّهُ جماله ، وإن مما طرأ عليه منذ نشأته النقول الكثيرة عن كُتُب اليهود والنَّصارى والتي اصطلح علماء التفسير بالإسرائيليات ، وقد وقف الناس تجاه هذا الموضوع مواقفَ شتى ما بين غالٍ وجافٍ ، وكنتُ منذ بدايات نَشْأتي العِلْمية أَتُوقُ إلى دراسة هذا الموضوع ، وكنتُ أتمنَّى لو أستطيع رَسْمَ معالم الموقف المتَّزن الذي ليس فيه إفراطٌ ولا تَفْريطٌ .

وفي أثناء إعدادي لأطروحتي للماجستير ثم أطروحة الدكتوراه كنتُ أرجع كثيراً إلى تفسير العلامة محمد الطاهر ابن عاشور ((التَّحْرير والتَّنْوير)) ، فوجدتُهُ كثيرَ الإيراد لنصوصٍ من التوراة والإنجيل في تفسير الآيات ، وقد أعجبني كثيراً في مواضعَ كثيرةٍ بإيراد الإسرائيلية . فعزمتُ على دراسة هذه النقولات للتعرُّف على موقف العلامة ابن عاشور من الإسرائيليات ، فاستقرأْتُ هذا التفسير بجميع مجلداته الثلاثين فرأيتُ أنها نقولاتٌ كثيرة لا تحتملها هذه الدراسة ، فقرَّرتُ الاقتصارَ على مجلدات ثلاثة من التفسير ووجدتُ أنه نقل فيها نصوصاً كثيرةً من الإسرائيليات فرأيتُ أن أنتقيَ منها نماذجَ تكفي للتعرُّف على موقف ابن عاشور من الإسرائيليات .

ولم أكتفِ بذلك فقد حاولتُ جاهداً نَقْدَ مَوْقف ابن عاشور نَقْداً بناءً مبيناً ما له وما عليه ، وقصدتُ من ذلك رَسْمَ معالم الموقف الصحيح من الإسرائيليات وبيان مدى إمكانية الإفادة منها .

من هنا جاء عنوان هذا البحث "موقف ابن عاشور من الإسرائيليات في تفسيره التحرير والتنوير ، دراسة انتقائية نَقْدية" . وقد قسمتُ البَحْث على مقدمة وتمهيد ومباحثَ ثلاثة وخاتمة ، وكالآتي :

المقدمة تحدثتُ فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له ، ومنهج البَحْث وخطَّته . وأما التمهيد فقد عرَّفتُ فيه بالإسرائيليات وبينتُ أسباب دخولها في التفسير ، وذكرتُ أنواعها مع بيان حُكْم كلٍّ منها .

وخصَّصتُ المبحث الأول لعَرْض نماذجَ من الإسرائيليات التي نَقَلَها ابن عاشور في تفسيره ووُجد في كلامه ما يدلُّ على قبوله لها . وفي المبحث الثاني عرضتُ نماذجَ للإسرائيليات التي نَقَلَها ابن عاشور متوقِّفاً في قبولها أو ردِّها . وأما المبحث الثالث فكان لعَرْض نماذجَ من الإسرائيليات التي ردَّها ابن عاشور .

وأما الخاتمة فكانت مخصَّصةً لعَرْض النتائج التي توصَّلتُ إليها من عَرْضي للنماذج السابقة ، وقد حاولتُ فيها إبراز معالم الموقف السَّليم من الإسرائيليات ومدى إمكانية الإفادة منها في فَهْم كتاب الله سبحانه .

واللهَ أسال أن يجعلَني مُوفَّقاً في بحثي هذا وأن يغفرَ لي خطأي ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

تمهيد : التعريف بالإسرائيليات وأنواعها وأحكامها

**أولاً : معنى الإسرائيليات :**

الإسرائيليات جَمْعٌ مُفْرده إسرائيلية ؛ قال الدكتور محمد حسين الذهبي في تعريفها : "وهي قصة أو حادثة تُرْوى عن مَصْدر إسرائيلي ؛ والنِّسْبة فيها إلى إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عَشَر ، وإليه يُنسب اليهود فيقال : بنو إسرائيل"([[1]](#footnote-2)).

وقد يقال : إن ما يُنقل عن الإنجيل يُعدُّ من الإسرائيليات ، وعلى هذا يكون لا يتناول لَفْظ (الإسرائيليات) ما يُنقل من الإنجيل ؛ إذ الإسرائيليات نسبة إلى بني إسرائيل وهم اليهود ، وهذا خلافُ فِعْل المفسرين ؛ إذ أنهم يَعُدُّون ما يُنقل من الإنجيل من الإسرائيليات أيضاً ؟ والجواب أن يقال : إن الإسرائيليات وإن كانت في اللغة نسبةً إلى بني إسرائيل الذين هم اليهود إلا أنَّ علماءَ التَّفْسير يستعملون هذا الاسم ويطلقونه "على ما هو أوسعُ وأشملُ من القَصَص اليهودي ؛ فهو في اصطلاحهم يدلُّ على كل ما تطرَّق إلى التفسير والحديث من أساطيرَ قديمةٍ منسوبةٍ في أصل روايتها إلى مَصْدر يهوديٍّ أو نصراني أو غيرهما ، بل توسَّع بعض المفسرين والمحدِّثين فعَدُّوا من الإسرائيليات ما دسَّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصلَ لها في مَصْدر قديم ، وإنما هي أخبار من صُنْع أعداء الإسلام صَنَعوها بخُبْث نيَّةٍ وسوءِ طَوِيَّةٍ ثم دسُّوها على التفسير والحديث ليُفْسِدوا بها عقائدَ المسلمين"([[2]](#footnote-3)) .

ويرى بعض الباحثين أن سبب إطلاق الإسرائيليات على ما مَصْدره نصراني هو أنَّ الكثير منها من ثقافة بني إسرائيل أو من كتبهم ومعارفهم أو من أساطيرهم وأباطيلهم ، وأن ما في كُتُب التفسير من المسيحيات أو النصرانيات هو شيء قليل بالنِّسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات ولا يكاد يُذكر بجانبها وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات ؛ إذ معظمها في الأخلاق والمواعظ وتهذيب النفوس وترقيق القلوب([[3]](#footnote-4)) . ويرى الدكتور محمد حسين الذهبي أن إطلاق لفظ (الإسرائيليات) على جميع ما تقدَّم هو "من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني ؛ فإن الجانبَ اليهوديَّ هو الذي اشتُهِر أمره فكَثُرَ النَّقْل عنه وذلك لكَثْرة أهله وظهور أمرهم وشِدَّة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بَسَطَ رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجاً"([[4]](#footnote-5)) .

هذا هو معنى الإسرائيليات في اصطلاح علماء التفسير والحديث ، إلا أنني سأقتصر في بحثي هذا من الإسرائيليات على ما أصله يهودي أو نصراني من الروايات والقَصَص والأحكام ؛ فإن الغرض الذي من أجله عملتُ هذا البحث هو الإجابة عن التساؤل الذي يقول : هل يمكن الإفادة من التوراة والإنجيل الموجودَيْنِ اليوم بين أيدنا في التفسير ؟

**ثانياً : سبب ظهور الإسرائيليات في كتب التفسير**

إن الدارس لهذا الموضوع والمتأمِّل له يجد أن سبب ظهور الإسرائيليات في كتب التفسير هو جملة أمور مجتمعة ، وهي :

ذِكْر القرآن لقَصَص ذُكرت في كتب بني إسرائيل ، ومعلوم من منهج القرآن في القَصَص أنه يقتصر على موضع العبرة من القصة ، لذلك نرى في القصة القرآنية الاختصارَ والإجمالَ في الغالب وعدمَ العناية ببيان تواريخ الأحداث ولا أماكنها وفي أحيان كثيرة يُـبْهِم شخصيات القصة .

والعرب المسلمون لما سمعوا بهذه القصص وعلموا أنها موجودة في كتب أهل الكتاب مفصَّلةً ذهبوا يسألونهم عن تفاصيل القصص القرآني ، وذلك لأن نفوسَهم كانت تميل إلى معرفة تفاصيل هذه القصص "فيلقون بعضَ مَنْ أسلم من أهل الكتاب فيسألونهم عما تشوَّفت نفوسهم إليه ، فيجيبونهم بما يعرفونه من ذلك"([[5]](#footnote-6)) .

ولابد من الإشارة إلى أن "رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب في معرفة تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم ولم يثبت فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على نطاق ضيِّق"([[6]](#footnote-7)) .

والذي جعل المسلمين الأوائلَ فمَنْ بعدهم ينقلون الإسرائيليات دون تحرج وفق ضوابط معيَّنة هو إباحة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ؛ ففي الحديث الصحيح عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو قال: قال رسول اللَّهِ :"بَلِّغُواعَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ"([[7]](#footnote-8))قال الحافظ ابن حجر العسقلاني :"قوله (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أي : لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدَّم منه صلى الله عليه وسلم الزَّجْرُ عن الأخذ عنهم والنَّظَر في كتبهم ثم حصل التوسُّع في ذلك ، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خَشْيةَ الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار"([[8]](#footnote-9)) .

فهذا إذن من النبي صلى الله عليه وسلم بالتَّحْديث عن بني إسرائيل والرِّواية عنهم ، فكان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون يسألون أهل الكتاب عما عندهم من القَصَص ، لكن وفق ضوابط معيَّنة ستأتي الإشارة إليها عند بيان أنواع الإسرائيليات وحُكْمها إن شاء الله تعالى .

إلا أنه جاء فيما بعدُ قَوْم شَحَنوا التفسير والحديث بالإسرائيليات ، وهؤلاء كان أكثرهم "من القُصَّاص الذين كانوا يجلسون إلى العامَّة في المساجد وغيرها ، يستميلون قلوبهم بما يروونه من أعاجيبَ تستهويهم ، ويتخذون ذلك سبيلاً إلى استدرار ما في أيديهم"([[9]](#footnote-10)) .

وفي ختام هذا الموضوع أورد أثراً مهماً عن ابن عباس يحذِّر فيه عن الرِّواية عن بني إسرائيل ؛ فعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال :"يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابُكُمْ الذي أُنْزِلَ على نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ تقرؤونه لم يُشَبْ ، وقد حَدَّثَكُمْ الله أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا ما كَتَبَ الله وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمْ الْكِتَابَ فَقَالُوا (هو من عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) ، أَفَلَا يَنْهَاكُمْ ما جَاءَكُمْ من الْعِلْمِ عن مُسَاءَلَتِهِمْ ؟ ولا والله ما رَأَيْنَا منهم رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عن الذي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ"([[10]](#footnote-11)) .

**ثالثاً : أنواع الإسرائيليات وحكمها**

يحق للبعض أن يتساءل فيقول : ما حُكْم الإسرائيليات ؟ أو هل جميع الإسرائيليات لها الحُكْم نفسه من عدم جواز روايتها وتصديقها ؟

وجواباً عن هذا التساؤل أقول : إنه لا يمكن إعطاء حُكْم عامٍّ يَشْمَل جميعَ الإسرائيليات ، ولذلك قَسَّم علماؤنا الإسرائيلياتِ على أقسام ثلاثة وأعطوا لكل قسم منها حكماً يخصُّه .

ولكن قبل بيان ذلك أذكر حديثين للنبي صلى الله عليه وسلم عليهما يقوم بيان حُكْم الإسرائيليات :

**الحديث الأول** : عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :"بلِّغواعني ولو آيةً وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرجَ ، ومَنْ كذَب عليَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّار"([[11]](#footnote-12)) .

ومثل هذا الحديث الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج "([[12]](#footnote-13)) .

**الحديث الثاني** : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا تصدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تكذِّبوهم وقولوا : (آمنا بالله وما أنزل إلينا ..) الآية "([[13]](#footnote-14)) .

ومثله ما جاء عن ابن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينا هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود فقال : يا محمد هل تتكلَّم هذه الجنازة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الله ورسوله أعلم" . قال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلَّم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وكتبه ورسله ؛ فإن كان حقاً لم تكذِّبوهم ، وإن كان باطلاً لم تصدِّقوهم"([[14]](#footnote-15)) .

وبعد إيراد هذين الحديثين أذكر أقسام الإسرائيليات وحُكْم كل قسم منها كما ذكره علماؤنا([[15]](#footnote-16)) :

**القسم الأول** : ما جاء في شرعنا ما يوافقه : وهذا القسم تجوز روايته وتصديقه ؛ فما دلَّ عليه شرعنا لا يكون إلا حقاً ، وما وافق الحقَّ حقٌّ .

**القسم الثاني** : ما جاء في شرعنا ما يكذِّبه : وهذا القسم لا يجوز تصديقه ولا روايته إلا بقصد ردِّه وبيان بُطْلانه .

**القسم الثالث** : ما سكت عنه شرعنا فلم يأتِ ما يوافقه أو يخالفه في شرعنا : وهذا القسم تجوز روايته لكن دون تصديقٍ أو تَكْذيبٍ . قال ابن تيمية رحمه الله عن هذا القسم :"وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ، ولهذا يختلفُ علماءُ أهلِ الكتاب في مثل هذا كثيراً ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماءَ أصحابِ الكَهْف ولَوْنَ كَلْبهم وعَدَدَهم وعَصَا موسى من أيِّ الشَّجَر ... ولكن نَقْل الخلاف عنهم في ذلك جائز"([[16]](#footnote-17)) .

وعلى هذا التقسيم يُحمل الحديثان اللَّذانِ تقدَّم ذِكْرُهما ؛ فقوله صلى الله عليه وسلم :"حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" قال ابن حجر العسقلاني في شرحه :"أي : لا ضيق عليكم في الحديث عنهم ؛ لأنه كان تقدَّم منه صلى الله عليه وسلم الزَّجْرُ عن الأخذِ عنهم والنَّظَرِ في كتبهم ، ثم حصل التوسُّع في ذلك ، وكأنَّ النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خَشْية الفتنة ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار . وقيل : معنى قوله (لا حرج) لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب ؛ فإن ذلك وقع لهم كثيراً . وقيل : لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم ؛ لأن قوله أولاً (حدِّثوا) صيغةُ أمرٍ تقتضي الوجوبَ فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله (ولا حرج) أي: في تَرْك التحديث عنهم ... وقال مالك : المراد جواز التحدُّث عنهم بما كان من أمر حَسَن أما ما عُلِمَ كَذِبُه فلا . وقيل المعنى حدِّثوا عنهم بمثل ما وَرَدَ في القرآن والحديث الصحيح([[17]](#footnote-18)) ... وقال الشافعي : من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدُّثَ بالكَذِب ؛ فالمعنى : حدِّثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوِّزونه فلا حرج عليكم في التحدُّث به عنهم ، وهو نظير قوله (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم) ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدُّث بما يُقطع بصِدْقه"([[18]](#footnote-19)) .

وبهذا تلتئم الأحاديث الواردة في ذلك ويظهر الجمع بينها .

وأرى أنه لا بد لي من الإشارة إلى حديث يخصُّ الموضوع أَوْرَدَهُ بعضُ مَنْ ألَّف فيه ؛ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن عمر بن الخطَّاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكُتُب ، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال :"أمتهوِّكون فيها يا ابنَ الخطاب ؟! والذي نفسي بيده لقد جئتُكم بها بيضاءَ نَقِيَّةً ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقٍّ فتكذِّبوا به أو بباطل فتصدِّقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وَسِعَهُ إلا أن يَتْبَعَني"([[19]](#footnote-20)) . وهو حديث ضعيف([[20]](#footnote-21)) ، ولعلَّه هو الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التحدُّث عن بني إسرائيل في أول الأمر .

وعلى أساس هذا التقسيم للإسرائيليات سوف أقسِّم الإسرائيليات التي أوردها ابن عاشور ، وكالآتي :

**القسم الأول** : ما جاء به من الإسرائيليات وفي كلامه ما يدلُّ على قبوله له .

**القسم الثاني** : ما جاء به من الإسرائيليات وليس في كلامه ما يدلُّ على قبوله أو ردِّه له .

**القسم الثالث** : ما جاء به وفي كلامه ما يدلُّ على ردِّه له .

وسأفرد لكل قسم من هذه الأقسام مبحثاً خاصاً ، أورد في كل مبحث نماذجَ من تفسير "التحرير والتنوير" للعلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى ، وأحلل كلَّ نموذج مبيناً سبب قبول ابن عاشر للإسرائيلية أو ردِّه لها أو توقفه فيها ناقداً لموقف ابن عاشور من الإسرائيلية . وبعد ذلك أستخلص النتائج التي أتوصَّل إليها من النماذج الواردة في الأقسام الثلاثة .

المبحث الأول : ما جاء به ابن عاشور من الإسرائيليات وفي كلامه ما يدلُّ على قبوله له

فيما يأتي نماذج لهذا القسم :

**النموذج الأول** : قال ابن عاشور بعد أن بَيَّـن كيف عَلِمَ الملائكة أن مِن ذرِّية آدم مَنْ سيُفْسِد في الأرض ويَسْفِك الدِّماء :"وفي هذا ما يُغْنيك عمَّا تكلَّف له بعض المفسرين من وَجْه اطلاع الملائكة على صفات الإنسان قبل بُدُوِّها منه ..." ثم ذكر بعض ما قاله المفسرون في هذا الموضوع ، ومنه :".. قياسٍ على الوحوش المفترسة ؛ إذ كان قد وُجدت على الأرض قبل خَلْق آدم كما في سفر التَّكْوين من التوراة"([[21]](#footnote-22)) .

هذا الكلام بناه ابن عاشور على نصِّ التوراة الذي يقول :"وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم ودبَّابات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان ذلك ... و قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلَّطون على سَمَكِ البَحْر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدَّبَّابات التي تَدُبُّ على الأرض "([[22]](#footnote-23)) .

وهذا ـ أعني وجود حيوانات سكنت الأرض قبل أبينا آدم عليه السلام ـ جاء في شرعنا ما يؤيده ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال :"خَلَقَ الله عز وجل التُّرْبة يوم السَّبْت وخَلَقَ فيها الجبال يوم الأحد وخَلَقَ الشَّجَر يوم الاثنين وخَلَقَ المكروه يوم الثلاثاء وخَلَقَ النُّور يوم الأربعاء وبثَّ فيها الدَّوابَّ يوم الخميس وخَلَقَ آدمَ عليه السلام بعد العَصْر من يوم الجمعة ..."([[23]](#footnote-24)) .

لذا فالذي أراه أنه كان ينبغي على العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى الاستدلالُ بهذا الحديث الصحيح بدلاً من الإتيان بنصِّ التوراة ، أو الإتيان بالحديث أولاً ثم الاستئناس بما في التوراة . ولعلَّه لم يأتِ بهذا الحديث لأنه معلوم مشتهر عند المسلمين ؛ فجاء بنصِّ التوراة ليبين موافقةَ ما عند أهل الكتاب لما في شرعنا .

فكلام ابن عاشور نلاحظ فيه أنه جاء بنصِّ التوراة مُقِراً لما جاء فيه ؛ حيث قال :" .. إذ كانت قد وُجدت على الأرض قبل خَلْق آدم كما في سفر التَّكوين من التوراة" ، وهو إنما أقرَّ بما جاء في التوراة لكونه جاء في شرعنا ما يصدِّقه .

**النموذج الثاني** : قال ابن عاشور بعد أن ذكر اختلاف العلماء في مسألة أيهما خُلق أولاً السماء أم الأرض؟ :"وأرجح القولين هو أن السماء خُلقت قبل الأرض ؛ لأن لفظ (بعد ذلك) أظهر في إفادة التأخُّر من قوله (ثم استوى إلى السماء) ، ولأن أنظار علماء الهيئة ترى أن الأرض كُرَة انفصلت عن الشمس كبقية الكواكب السَّيَّارة من النذِظام الشَّمْسي . وظاهر سفر التَّكوين أن خَلْق السَّماوات متقدِّم على الأرض"([[24]](#footnote-25)) .

وابن عاشور يعني بـ (ظاهر سفر التَّكوين) قولَ التوراة :"وقال الله ليكن جلد في وسط المياه ... ودعا الله الجلد سماء ... وقال الله : لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك ، ودعا الله اليابسة أرضاً"([[25]](#footnote-26)) .

في هذا النَّصِّ نرى ابن عاشور يرجِّح أحدَ القولين على الآخر بناء على ظاهر القرآن ثم عضد ترجيحه بأقوال علماء الفلك ، ثم استأنس لهذا الترجيح بظاهر التوراة ، وهذا فنٌّ بديع في تقوية الأقوال وترجيحها.

**النموذج الثالث** : قال :"وتُوفي موسى عليه السلام قُرْب أريحا على جبل نيـبو سنة (1380) ثمانين وثلاث مئة وألف قبل ميلاد عيسى ، ودُفن هنالك وقَبْره غير معروف لأحد كما هو نصُّ التوراة"([[26]](#footnote-27)) .

لي مع هذا النَّصِّ وَقْفة عند قول ابن عاشور :"وقبره غير معروف لأحد كما هو نَصُّ التوراة([[27]](#footnote-28))" ؛ حيث إننا نرى أنه نَقَلَ عن التوراة مع ظهور مَيْله إلى تَصْديق ما جاء فيها ، والذي أراه أن سبب تَصْديق ابن عاشور لما جاء في هذه الإسرائيلية هو موافقتها للواقع ؛ فلا يَعْرِف اليومَ أحدٌ أين هو قَبْر موسى عليه السلام .

وعلى هذا يكون أحد ضوابط قبول ابن عاشور للإسرائيليات هو موافقتها للواقع .

**النموذج الرابع** : قال في تفسير قوله تعالى : فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقةُ وأنْتُمْ تَنْظُرونَ([[28]](#footnote-29)) :"وقوله (وأنتم تنظرون) : فائدة التَّقْييد بهذا الحال عند صاحب الكشاف([[29]](#footnote-30)) الدِّلالة على أن الصَّاعقة التي أصابتهم نارُ الصاعقة لا صوتها الشَّديد ؛ لأن الحال دلَّت على أن الذي أصابهم مما يُرى . وقال القرطبي : أي : وأنتم ينظر بعضكم إلى بعض ، أي : مجتمعون([[30]](#footnote-31)) . وعندي أن مفعول (تنظرون) محذوف وأن (تنظرون) بمعنى تحدِّقون الأنظار عند رؤية السَّحَاب على جبل الطُّور طَمَعاً أن يَظْهَر الله من خلاله ؛ لأنهم اعتادوا أن الله يكلِّم موسى كلاماً يسمعه من خلال السَّحاب كما تقول التوراة في مواضع([[31]](#footnote-32))"([[32]](#footnote-33)) .

في هذا النَّصِّ ذكر ابن عاشور قولين في تفسير الآية ثم رجَّح غيرهما بناء على ما جاء في التوراة .

والذي أراه أن هذا لا ينبغي ؛ فلا يمكن أن نعرض عن تفاسير علمائنا لنتمسُّك بما تقوله التوراة ، وهذه هَفْوة من ابن عاشور وهي لا تنقص من قَدْره رحمه الله .

أقول : لا يمكن الجزم بأن موسى عليه السلام كان يسمع كلام الله تعالى من خلال السَّحَاب بناءً على نصوص التوراة الموجودة بين أيدينا اليوم ؛ لأننا نُهِينا عن تَصْديق أهل الكتاب أو تَكْذيبهم فيما لم يَرِدْ في شرعنا ما يصدِّقه أو يكذِّبه . من هنا أقول : إن القرآن أخبرنا أن موسى عليه السلام كان يسمع كلام الله ، ولم يخبرنا عن كيفية سماعه ، لذا يجب التوقُّف وعدم الجزم بشيء بخصوص ذلك .

على أنني لم أقف على مَنْ سبق ابنَ عاشور إلى قوله هذا من مفسري السلف ولا من بعدهم([[33]](#footnote-34)) .

ويعجبني هنا أن أنقل كلام العلامة الآلوسي إذ يقول بعد أن نقل كلام السلف في معنى (وأنتم تنظرون):"ولو ذهب ذاهب إلى أن المعنى : وأنتم تنظرون إجابةَ السُّؤال في حصول الرؤية لكم ، كان وجهاً ؛ من قولهم : نظرتُ الرجلَ ، أي : انتظرتُهُ ... لكن هذا الوجه غير منقول ؛ فلا أجسُرُ على القول به وإن كان اللفظ يحتمله"([[34]](#footnote-35)) . وهذا الوجه الذي ذكره الآلوسي أولى من الوجه الذي قال به ابن عاشور ويتماشى مع التوجيه البلاغي الذي ذكره ابن عاشور نفسه إذ يقول :"ففائدة الحال إظهار أن العقوبة أصابتهم في حين الإساءة والعَجْرفة إذ طمعوا فيما لم يكن ليُنال لهم"([[35]](#footnote-36)) .

**النموذج الخامس** : قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : وظَلَّلْنا عليكُمُ الغَمَامَ ...([[36]](#footnote-37)) : "والظاهر أن تَظْليل الغَمَام ونزول المنِّ والسَّلْوى كان قبل سؤالهم رؤيةَ الله جَهْرة ؛ لأن التوراة([[37]](#footnote-38)) ذكرتْ نزول المنِّ والسَّلْوى حين دخولهم في بَرِّيَّة سين بين إيليم وسيناء في اليوم الثاني عشر([[38]](#footnote-39)) من الشهر الثاني من خروجهم من مصر حين اشتاقوا إلى أكل الخبز واللَّحْم ..."([[39]](#footnote-40)) .

في هذا النَّصِّ نرى ابنَ عاشور اعتمد في ترتيب الأحداث التي ذُكرت في الآيات الكريمة على ما جاء في التوراة([[40]](#footnote-41)) ، والذي أراه أن الذي دفع ابن عاشور إلى ذلك هو كون القرآن وافق التوراةَ في الأحداث من حيث الجملة ، وهو لم يناقضها في ترتيبها للأحداث .

وبناءً على ذلك رأى ابن عاشور رحمه الله أنه لما وافق القرآنُ التوراةَ في كون الأحداث قد وقعت فلا ضَيْرَ في الأخذ بترتيب الأحداث طالما أن هذا الترتيب لا يتناقض مع القرآن ، والله أعلم .

وإنني إذ أحترم وجهة نظر العلامة ابن عاشور لا أتفق معه في ذلك وألتزم بمنهج عدم تَصْديق التوراة أو تَكْذيبها في كل ما لم يَرِد ذِكْره في شرعنا ، فلا يكفي لتَصْديق التوراة أن تكون الأحداث المذكورة فيها قد ذُكرت في القرآن ، أقول : لا يكفي ذلك للأخذ بترتيب التوراة للأحداث إذا لم يَدُلَّ القرآن أو السُّنة الصحيحة على هذا الترتيب .

من هنا فأنا لا أتفق مع ابن عاشور رحمه الله في استظهاره هذا ، وأقول : إن القرآن أخبرنا بالأحداث ولم يخبرنا بترتيبها لعدم تعلُّق العِبْرة به ، فنحن نؤمن بأن الأحداث قد وقعت ولا نشكُّ في ذلك ، ونتوقَّف في ترتيبها حتى يأتينا به الخبر الصادق .

**النموذج السادس** : قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : وإذْ قُلْنا ادْخُلُوا هذهِ القَرْيةَ فكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً ...([[41]](#footnote-42)) :"ولعِلْم المخاطَبين بما عَنَتْهُ هذه الآيةُ اخْتُصِر فيها الكلام اختصاراً تَرَكَ كثيراً من المفسرين فيها حَيَارَى ، فسَلَكوا طَرَائقَ في انتزاع تفصيل المعنى من مُجْمَلها فما أتوا على شيء مُقْنِع ... والذي عندي من القول في تفسير هاتِهِ الآية أنها أشارت إلى قصَّة مَعْلومة تضمَّنتها كتبهم ..." ثم ذكر قصة طويلة نَقَلَها من التوراة([[42]](#footnote-43)) . ثم قال :"فهذه الآية تنطبق على هذه القصة تمامَ الانطباق ... فقوله : (ادخلوا هذه القرية) الظاهر أنه أراد بها (حبرون) التي كانت قريبةً منهم والتي ذهب إليها جواسيسهم وأتوا بثمارها ... وقوله : (فبَدَّلَ الذين ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لهم) يتعيَّن أنه إشارةٌ إلى ما أشاعه الجواسيس العَشَرة من مَذَمَّة الأرض وصعوبتها ... وأن الرِّجْز الذي أصاب الذين ظلموا هو الوَبَاء الذي أصاب العَشَرةَ الجواسيس ... فهذا هو التفسير الصحيح المنطبق على التاريخ الصريح"([[43]](#footnote-44)) .

نلاحظ في هذا النَّصِّ أن ابن عاشور لم يَرْتضِ ما قاله المفسرون قبله في هذه الآية ، وأنه يرى أن سببَ ارتباك المفسرين في الآية هو إجمالها ، وأن سبب إجمالها هو عِلْم المخاطَبين بتفاصيل القصَّة ؛ فهو يقول في الهامش :"والقَصْد من ذلك [يعني الإجمال] تجنُّب ثِقَلِ إعادةِ الأمر المعلوم ؛ فإن بني إسرائيل المخاطَبين كانوا يعلمون ذلك والمسلمين بالمدينة كانوا يتلقَّوْنه مُفَصَّلاً من النبي صلى الله عليه وسلم ومن مسلمي أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلَام"([[44]](#footnote-45)) . وبناءً على ذلك يرى ابن عاشور أنه ينبغي تفسير الآية بما يتوافق مع التفصيل الموجود عند أهل الكتاب .

وأنا لا أوافق العلامة ابن عاشور على ذلك ؛ فكون القرآن يتَّفق مع التوراة في أصل القصة أو في بعض تفاصيلها لا يقتضي قَبُولَ جميع التفاصيل الموجودة في التوراة ، ويعجبني ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية من أن الصحيح أن المقصود بالقرية في الآية بيت المقدس ، ثم قال بعد أن ذكر الاختلاف في قوله تعالى : ادْخُلوا البَابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ :"وحاصل الأمر : أنهم أُمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها والشُّكْر على النِّعمة عندها ..."([[45]](#footnote-46)) .

وأما تفسير قوله تعالى : فبدَّل الذين ظَلَموا قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لهم فيقول ابن كثير :"وحاصل ما ذكره المفسرون وما دلَّ عليه السِّياق من الحديث : أنهم بدَّلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل ، فأُمروا أن يدخلوا سُجَّداً فدخلوا يَزْحفون على أستاههم من قِبَل أستاههم رافعي رؤوسهم ، وأُمروا أن يقولوا (حِطَّة)، أي : احطُطْ عنَّا ذنوبنا وخطايانا ، فاستهزؤوا فقالوا : حنطة في شعيرة ، وهذا غايةُ ما يكون من المخالفة والمعاندة ، ولهذا أنزل الله بهم بأسَهُ وعذابَهُ بفِسْقهم وهو خروجهم عن طاعتهم ، ولهذا قال : فأَنْزَلْنَا على الذين ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بما كانوا يَفْسُقُونَ"([[46]](#footnote-47)) .

فهذا التفسير أصحُّ مما ذكره ابن عاشور ؛ لأنه هو الموافق لتفسير النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :"قال الله لبني إسرائيل : ادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَاياكمْ فبدَّلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم فقالوا : حبَّة في شَعْرة"([[47]](#footnote-48)) . فهذا هو المعتمد في تفسير الآية ؛ فإن أولى ما يُفسَّر به كتاب الله تعالى هو ما فسَّره به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو أعلم عباد الله بكتاب الله سبحانه ، فلا يجوز لأحد أن يَعْدِلَ عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم ويذهبَ إلى ما هو مذكور في كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وقد يكون ما فيها أوهاماً من خيالات كاتبيها ، والله أعلم .

**النموذج السابع** : قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : وإذْ قُلْتُمْ يا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ على طعامٍ واحدٍ ...([[48]](#footnote-49)) :"وقد أشارت الآية إلى قصَّة ذكرتْها التوراة([[49]](#footnote-50)) مُجْمَلةً مُنتثِرةً ، وهي أنهم لما ارتحلوا من بَرِّية سيناء من حوريب ونزلوا في بَرِّية فاران في آخر الشهر الثاني من السنة الثانية من الخروج سائرين إلى جهات حبرون، فقالوا : تذكَّرنا السَّمَكَ الذي كُنَّا نأكلُهُ في مِصْرَ مَجَّاناً ـ أي : يصطادونه بأنفسهم([[50]](#footnote-51)) ـ والقِثَّاء والبَطِّيخ والكُرَّاث والبَصَل والثُّوم ، وقد يبست نفوسنا فلا نرى إلا هذا المنَّ ، فبكوا فغضب الله عليهم وسأله موسى العَفْوَ فعَفَا عنهم وأرسل عليهم السَّلْوى فادَّخروا منها طعامَ شَهْرٍ كامل"([[51]](#footnote-52)).

يبدو من هذا النَّصِّ أن ابن عاشور نقل من التوراة مقراً لما فيها ، وإنما كان مقراً لما فيها هنا لأنه وافق القرآن من حيث أصل القصة .

وابن عاشور يرى أن القصة في القرآن الكريم جاءت مختصرةً فيمكن أن يُذكَرَ تفصيلُ القصَّة بالاعتماد على التوراة ؛ حيث إنها ذَكَرَتِ القصةَ مُفصَّلةً . وهذا لا داعيَ له في نَظَري ؛ فطالما كان نصُّ القرآن مفهوماً وموضعُ العبرة ظاهراً فلا حاجةَ إلى ذِكْر تفاصيلَ من التوراة لم تُذكر في القرآن ولا في صحيح السُّنة ، إلا إذا كان في الكلام ما يَدُلُّ على التوقُّف في تصديقها .

إن الذي أقصد إلى بيانه هنا هو أن أصل القصَّة التي في التوراة إذا كان مذكوراً في القرآن الكريم لكن تُوجَد تفاصيلُ في التوراة لم يَذْكُرْها القرآن فإن التفاصيل تبقى من القسم الذي سُكت عنه في شرعنا من الإسرائيليات ، فتجوز روايته دون تصديق أو تكذيب ، أي : تجوز روايته لكن مع الإشارة إلى التوقُّف في تصديقه أو تكذيبه .

وهذا الذي ذكرتُهُ هنا هو الذي عمل به ابن عاشور نفسه ؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى : وإذِ اسْتَسْقَى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنا اضْرِبْ بَعَصَاكَ الحَجَرَ ...([[52]](#footnote-53)) :"و (ال) في (الحجر) لتعريف الجنس ، أي : اضرب بعصاك أيَّ حَجَرٍ شِئْتَ ، أو للعَهْد مُشيراً إلى حَجَر عَرَفَهُ موسى بوَحْيٍ من الله ، وهو صَخْر في جبل حوريب الذي كلَّم اللهُ منه موسى كما وَرَدَ في سفر الخروج ، وقد وردت فيه أخبار ضعيفة"([[53]](#footnote-54)) . فهنا لم يأخذ بالتفصيل الذي ذُكر في التوراة مع أن أصل القصة مذكور في القرآن ، وإنما جعله أمراً محتملاً قد يكون مراداً من الآية وقد لا يكون. وسيأتي تفصيل الكلام على هذا النَّص في النموذج الثالث من المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

**النموذج الثامن** : قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : ... فادْعُ لَنَا ربَّكَ يُخْرِجْ لَنَا ممَّا تُنْبِتُ الأرضُ مِنْ بَقْلِها وقِثَّائها وفُومِها ...([[54]](#footnote-55)) :"وقد اختُلف في الفوم ؛ فقيل: هو الثوم بمثلَّثة وإبدال الثاء فاءً شائع في كلام العرب ... وهذا هو الأظهر والموافق لما عُدَّ معه ولما في التوراة([[55]](#footnote-56)) ، وقيل : الفوم الحنطة ... وقيل : الفوم الحِمَّص بلغة أهل الشَّام"([[56]](#footnote-57)) .

في هذا النَّصِّ ذكر ابن عاشور أقوالاً ثلاثة في معنى الفوم ، ورجَّح القولَ الأول منها ، وهو أن معنى الفومِ الثومُ ، واستدلَّ على رجاحة هذا القول بأدلَّة هي :

1. إنه موافق لما هو شائع في كلام العرب من إبدال الثاء فاءً .
2. إنـه مـوافق للسِّياق ؛ إذ الثـوم متَّسق ومتوافق مع ما عُطف عليه من القِثَّاء والعدس والبَصَل ، كما هو ظاهر .
3. إنه موافق لما في التوراة .

وإننا نرى أنه أخَّر ذِكْر دليل التوراة على الدَّليلين الآخَرَيْنِ ، وكأنه استأنس بما في التوراة لترجيح القول؛ فوجود الدَّليلين الأوَّلين مرجِّح للقول الأول فإذا وافقت التوراةُ هذا القولَ كان ذلك تقويةً زائدةً له .

فهذا العمل من ابن عاشور رحمه الله مما أبدع فيه بإيراد الإسرائيلية للاستفادة منها في التَّفسير .

**النموذج التاسع** : قال ابن عاشور في قوله تعالى : وإذِ اسْتَسْقَى مُوسى لقَوْمِهِ فقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ ...([[57]](#footnote-58)) :"وقد أشارت الآية إلى حادثةٍ معروفةٍ عند اليهود([[58]](#footnote-59)) ، وذلك أنهم لما نزلوا في رفيديم قبل الوصول إلى بَرِّية سيناء وبعد خروجهم من بَرِّية سين في حدود الشهر الثالث من الخروج عطشوا ولم يكن بالموضع ماء ، فتذمَّروا على موسى وقالوا : أتصعدنا من مِصْرَ لنموتَ وأولادُنا ومواشينا عَطَشاً ؟! فدعا موسى ربَّه فأمره الله أن يَضْربَ بعَصَاه صَخْرةً هناك في حوريب ، فضرب فانفجر منها الماء"([[59]](#footnote-60)) .

الذي أفهمُهُ من هذا النَّصِّ أن ابن عاشور يرى أن القرآن قد يختصر القصةَ ويذكرُها مجملةً اعتماداً على عِلْم المخاطَبين بها وبتفاصيلها([[60]](#footnote-61)) ، وعلى هذا تكون في الآية إشارةٌ إلى تقرير ما عند أهل الكتاب وأنه حقٌّ وصِدْقٌ ، فيجوز ـ بناءً على ذلك ـ الاعتماد على ما في كتبهم .

إن هذه الحادثة جاءت مختصرةً من غير ذِكْر أسماءِ أماكنِ الحادثة ولا زمنِها، وذلك لأن الحادثة بتفاصيلها معلومةٌ مشهورةٌ عند المخاطَبين ، لذلك فالقصَّة تُعَدُّ مُقِرَّةً للقصَّة المذكورة في التوراة بما فيها من تفاصيل ؛ هكذا يرى ابن عاشور رحمه الله تعالى .

وقد بنى ابن عاشور على ذلك جوازَ تفصيل قصَّة القرآن بقصَّة التوراة فساق قصَّة التوراة جازماً بها ، وأنا لا أوافقه على ذلك ؛ فكون القرآن موافقاً للتوراة في أصل القصة لا يستلزم أن تكون جميعُ تفاصيلِ القصَّة المذكورة في التوراة مما لم يذكرْهُ القرآن صحيحةً ، بل هي مما سكت عنه القرآن فتكون من قسم الإسرائيليات التي لم يأتِ في شرعنا ما يصدِّقه أو يكذِّبه فتجوز حكايته دون تصديق أو تكذيب . والله أعلم.

على أنني مع ابن عاشور في أن القرآن قد يختصر القصَّة لشُهْرتها عند المخاطَبين ، فالمخاطَبون ـ أي : أهل الكتاب ـ يعلمون أصل القصَّة مع تفاصيل ، وقد تكون هذه التفاصيل أو بعضها غيرَ صحيحةٍ ، إلا أن القرآن لا يريد أن يخوضَ معهم في مجادلات ، فيحكي لهم وللمسلمين أصلَ القصَّة لأنه كافٍ للغَرَض الذي يريده القرآن . وبهذا يَصِحُّ القول : إن كونَ القرآن موافقاً للتوراة في أصل القصة لا يستلزم أن تكونَ جميعُ تفاصيل القصَّة المذكورةِ في التوراة مما لم يذكرْهُ القرآن صحيحةً ، بل هي مما سكت عنه القرآن فتكون من قسم الإسرائيليات التي لم يأتِ في شرعنا ما يصدِّقه أو يكذِّبه فتجوز حكايته دون تصديق أو تكذيب .

**النموذج العاشر** : قـال ابـن عاشور في قوله تعالى : وإذْ أَخَذْنا مِيثَاقَكُمْ ورَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ...([[61]](#footnote-62)) :"تذكيرٌ بقصَّة أخرى أرى اللهُ تعالى أسلافَهم فيها بَطْشَهُ ورَحْمتَهُ فلم يرتدعوا ولم يَشْكروا ، وهي أنْ أخذ الميثاق عليهم بواسطة موسى عليه السلام أن يعملوا بالشَّريعة ، وذلك حينما تجلَّى الله لموسى عليه السلام تجلِّياً خاصاً للجبل فتزعزع الجبل وتزلزل وأحاط به دُخَان وضَبَاب ورُعود وبَرْق كما وَرَدَ في صفة ذلك في الفصل التاسع عشر من سفر الخروج وفي الفصل الخامس من سفر التثنية([[62]](#footnote-63)) . فلعلَّ الجبل من شدَّة الزَّلازل وما ظَهَرَ حَوْله من الأسحبة والدُّخان والرُّعود صار يَلُوح كأنه سَحَابة ، ولذلك وُصف في آية الأعراف بقوله : وإذْ نَتَقْنا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ([[63]](#footnote-64)) حتى يُخيَّل إليهم أنه يهتزُّ ... وليس في كُتُب بني إسرائيل ولا في الأحاديث الصَّحيحة ما يَدُلُّ على أن الله قَلَعَ الطُّور من مَوْضعه ورَفَعَه فَوْقهم ، وإنما وَرَدَ ذلك في أخبار ضِعَاف ، فلذلك لم نعتمدْهُ في التفسير"([[64]](#footnote-65)) .

لي على هذا النَّصِّ ملاحظتان :

الأولى : إن ابن عاشور وَصَفَ الجبل بأنه تزلزل وأحاط به دُخَان وضَبَاب ورُعود وبَرْق ، وذلك اعتماداً على ما في التوراة كما صرَّح هو نفسه . وأرى أن هذا لا ينبغي ؛ إذ كيف نجزم بما في التوراة مع عدم وجود ما يصدِّقه في شرعنا ؟!

الملاحظة الثانية : إن ابن عاشور رحمه الله تعالى استبعد أن يكون الله سبحانه اقتلع جبل الطُّور ورَفَعَه فَوْق بني إسرائيل مع أنه صريح القرآن وَرَفَعْنا فَوْقَكم الطُّور ، وقد بنى استبعاده على :

1. وَصْف التوراة للجبل أثناء الحادثة .
2. عدم ورود الرَّفْع في كتب بني إسرائيل .
3. عدم وروده في الأحاديث الصَّحيحة ، وقد حَكَمَ على الأخبار التي وردت في ذلك بالضَّعْف .

أقول : إن ورود التوراة بشيء ليس دليلاً على صحَّته كما هو معلوم ، والعلامة ابن عاشور يؤمن بذلك، فلا يجوز تصديق شيء جاءت به التوراة لم يأتِ في شرعنا ما يصدِّقه . وكذلك عدم ورود شيء في كتب بني إسرائيل ليس دليلاً على عدمه .

وقد يكون الذي دفع ابن عاشور إلى هذا التفسير هو محاولته التوفيق بين القرآن والتوراة ؛ لكون الحادثةِ مذكورةً فيهما ، فالحادثة مما اتفق عليهما القرآن والتوراة فلا ضَيْر إذا ما أخذنا بما جاء في التوراة . وهذا غير صحيح فنصُّ القرآن ظاهر وواضح ، فلا يجوز مخالفة ظاهر القرآن لموافقة التوراة .

أما ما ذكره من عدم ورود رَفْع الطُّور فَوْق بني إسرائيل إلا من روايات ضعيفة ، فجوابه أنه إذا كان نصُّ القرآن ظاهرَ الدِّلالة فلا حاجة لرواياتٍ أصلاً للقول بموجبه ، أو كما قال شيخ المفسِّرين الطَّبري رحمه الله: "كلُّ كلام نُطق به مفهومٌ به معنى ما أُريد منه ففيه كفايةٌ من غيره"([[65]](#footnote-66)) .

فالقرآن ظاهرٌ في أن الله تعالى اقتلع الجبل ورَفَعَه فوق بني إسرائيل ، وهذا هو الذي فسَّر به الآيةَ المفسرون الأوائلُ على اختلاف مناهجهم في التفسير ، وصحَّ كذلك عن بعض مفسِّري السَّلَف كقتادة بن دِعَامة السَّدوسي([[66]](#footnote-67)) .

وقد أكَّد الله سبحانه على معنى رَفْع الجبل حقيقة بقوله : وإذْ نَتَقْنا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كأنَّهُ ظُلَّةٌ([[67]](#footnote-68)) فقوله (نتقنا) قال فيه أبو عُبَيْدة اللُّغوي المشهور :"المعنى : زعزعناه فاستخرجناه من مكانه ، وكلُّ شيء قَلَعْتَهُ فرميتَ به فقد نتقتَهُ"([[68]](#footnote-69)) ، وقد بـيَّن الله النَّتْقَ في الآية نفسها وأنه رَفْع حقيقيٌّ إذ قال في الآية : فَوْقَهُمْ كأنَّهُ ظُلَّة ، يقول الزَّمَخْشَري :"والظُّلَّة : كلُّ ما أظلَّكَ من سقيفة أو سَحَاب"([[69]](#footnote-70)) .

مما سبق يتبين لنا خطأ اعتماد ابن عاشور رحمه الله في تفسير الآية على ما في التوراة ، وهذا الخطأ من جهتين :

الجهة الأولى : تأويله([[70]](#footnote-71)) لظاهر نصِّ القرآن دون دليل يصحُّ الاعتماد عليه .

الجهة الثانية : قبوله لما في التوراة مع عدم وجود ما يوافقه في شرعنا ، بل مع مخالفته لظاهر القرآن .

**النموذج الحادي عشر** : قال ابن عاشور :"... ولهذا اتفق المحقِّقون من العلماء الباحثين عن تاريخ الدِّين على أن التوراة قد دخلها التَّحْريف والزِّيادة والتَّلاشي ، وأنهم لما أجمعوا أمرهم عَقِبَ بعض مصائبهم الكُبْرى افتقدوا التوراة فأرادوا أن يجمعوها من مُتفرَّق أوراقهم وبَقَايا مكاتبهم . وقد قال (لنجرك) أحد اللاهوتيين من علماء الإفرنج : إن سفر التثنية كَتَبَهُ يهوديٌّ كان مُقيماً بمصر في عَهْد الملك يوشيا مَلِك اليهود . وقال غيره : إن الكتب الخمسة التي هي مجموع التوراة قد دخل فيها تحريفٌ كبيرٌ من عِلْم صموئيل أو عُزَيْر (عزرا) . ويذكر علماؤنا أن اليهود إنما قالوا (عُزَيْر ابن الله) لأنه ادَّعى أنه ظَفِرَ بالتوراة ، وكلُّ ذلك يَدُلُّ على أن التوراة قد تلاشت وتمزَّقت ، والموجود في سفر الملوك الثاني من كُتُبهم في الإصحاح الحادي والعشرين([[71]](#footnote-72)) أنهم بينما كانوا بصَدَد ترميم بيت المقدس في زمن يوشيا مَلِك يهوذا ادَّعى حلقيا الكاهن أنه وَجَدَ سفر الشَّريعة في بيت الرَّبِّ وسلَّمه الكاهن لكاتب الملك ، فلما قرأه الكاتب على الملك مزَّق ثيابَهُ وتاب من ارتداده عن الشَّريعة وأمر الكَهَنة بإقامة كلام الشَّريعة المكتوب في السفر الذي وَجَدَه حلقيا الكاهن في بيت الرَّبِّ . أهـ . فهذا دليلٌ قويٌّ على أن التوراة كانت مجهولةً عندهم منذ زمان"([[72]](#footnote-73)) .

هذا الكلام ذكره ابن عاشور في معرض تفسيره لقوله تعالى : فوَيْلٌ للذين يَكْتُبونَ الكِتَابَ بأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولونَ هذا مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قليلاً ...([[73]](#footnote-74))، ولي عليه ملاحظتان :

الملاحظة الأولى : هذا نصٌّ مهمٌّ بـيَّن فيه ابن عاشور وقوعَ التَّحْريفِ في التوراة بالتَّغْيير والزِّيادة والنُّقْصان ، وأن أحدَ أهمِّ أسبابه هو ضَيَاعُ التوراة وفُقْدانُ اليهود لها .

الملاحظة الثانية : إن ابن عاشور جاء بنصِّ التوراة ليدلِّلَ على أن اليهود أنفسَهم مُقِرُّون بأن التوراة قد تلاشت لمدَّة ؛ فهو جاء بهذا النَّصِّ ليُدَعِّمَ به ما استقرَّ عند علماء المسلمين من أن التوراة قد فُقدت ؛ فهو جاء بنصِّ التوراة لوجود ما يؤيده عند علماء المسلمين .

وقول ابن عاشور :"ويذكر علماؤنا أن اليهود إنما قالوا (عزير ابن الله) .." هو الذي ذكره المفسِّرون على اختلاف مناهجهم([[74]](#footnote-75)) ، ورواه الطَّبري عن ابن عباس رضي الله عنهما([[75]](#footnote-76)) ولم يذكر غيره .

**النموذج الثاني عشر** : ذكر ابن عاشور أصل مَقَالة نِسْبة الوَلَد إلى الله تعالى ؛ فقال :"وأصل هذه المقالة بالنِّسْبة للمشركين ناشئٌ عن جهالةٍ وبالنِّسبة لأهل الكتابَيْنِ ناشئٌ عن توغُّلهما في سوء فَهْم الدِّين حتى توهَّموا التَّشْبيهات والمجازات حَقَائقَ ؛ فقد وَرَدَ وَصْفُ الصَّالحين بأنهم أبناءُ الله على طريقة التَّشْبيه ، ووَرَدَ في كتاب النَّصَارى وَصْفُ الله تعالى بأنه أبو عيسى وأبو الأمَّة ، فتلقَّفتْهُ عقولٌ لا تَعْرِف التَّأْويلَ ولا تؤيِّد اعتقادَها بواضحِ الدَّليل فظنَّتْهُ على حقيقته ..." ثم أورد نصوصاً من التوراة والإنجيل فيها وَصْفُ الصَّالحين بأنهم أبناءُ الله وأن الله أبوهم ، ثم قال :"وتكرَّر ذلك في الأناجيل غيرَ مرَّة ، ففَهِموها بسوء الفَهْم على ظاهر عباراتها ولم يراعوا أصولَ الدِّيانة التي توجب تأويلَها ؛ ألا ترى أن المسلمين لما جاءتهم أمثال هاتِهِ العبارات أحسنوا تأويلَها وتبيَّنوا دليلَها كما في الحديث (الخَلْق عيال الله)"([[76]](#footnote-77)) .

في هذا النَّصِّ جاء ابن عاشور بنصوص من التوراة والإنجيل لمجرَّد التَّمْثيل لكلامه الذي يقول فيه :"فقد وَرَدَ وَصْفُ الصَّالحين بأنهم أبناء الله ... فظنَّته على حقيقته" ؛ حيث أورد نصوصاً من الكتابين ليمثِّل لكلامه السابق وليبين أن أمثال هذه النصوص لا تُحْمَل على حقيقتها وأن المقصود بـ "أبناء الله" أحبابه الذين يحبُّهم كما يحبُّ الوالدُ أبناءَهُ ، وليبين كذلك أن ما جاء في الكتابين من وَصْف الله تعالى بالأبوَّة يُراد به تَشْبيه رعاية الله سبحانه لخَلْقه برعاية الوالد لأبنائه .

وشبيهٌ بهذا النَّصِّ قول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : وقالتِ اليَهُودُ والنَّصَارى نحن أبْناءُ الله وأَحِبَّاؤُهُ([[77]](#footnote-78)) :"مَقَالٌ آخر مشترك بينهم وبين اليهود يَدُلُّ على غَبَاوتهم في الكُفْر ... وقد وَقَعَ في التوراة والإنجيل التَّعْبير بأبناء الله ..." ثم جاء بنصوصٍ من التوراة والإنجيل وقال :"وكلُّها جائيةٌ على ضَرْب من التَّشْبيه فتوهَّمَها دَهْماؤُهم حقيقةً فاعتقدوا ظاهرها"([[78]](#footnote-79)) .

ويبدو لي أن ابن عاشور يجزم بنزول مثل هذه الألفاظ في التوراة والإنجيل غير المحرَّفين ، وهذا ظاهرٌ من ذِكْره أنه وَرَدَ في الكتابَيْنِ وَصْفُ الصَّالحين بأنهم أبناء الله على التَّشْبيه وأن اليهود والنَّصَارى لغَبَاوتهم ولكون عقولهم لا تَعْرِف التأويل آمنوا بها على حقيقتها فنسبوا الوَلَد إلى الله تعالى .

وأقول : إن إنزال مثل هذه الألفاظ في الكتابَيْنِ جائز وغير مُسْتَبْعَد بشَرْط كَوْن المخاطَبِين استعملوا لَفْظ (الابن) للمحبوب المقرَّب و لفظ (الأب) للمُدَبِّر الرَّحيم .

ولا يمكـن الجـزم بشيء من ذلك ، لذا فإن هذه النصوص ـ على تفسيرها الذي فسَّرها به ابن عاشور ـ لا تُصَدَّق ولا تُكذَّب إلا إذا ثبت في شرعنا أن الله تعالى أنزل مثل هذه الألفاظ في التوراة والإنجيل.

والذي أراه أن ابن عاشور جزم بنزول مثل هذه الألفاظ في التوراة والإنجيل لكَثْرة وُرُودها فيهما مع وُرُود أمثالها في شَرْعنا كالقول الذي رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم :"الخلق عيال الله"([[79]](#footnote-80)) . وإن كنتُ لا أوافقه في ورود أمثال هذه الألفاظ في شَرْعنا لضَعْف الحديث الذي ذَكَرَهُ .

**النموذج الثالث عشر** : قال في تفسير قوله تعالى : إنَّ الذين يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا ...([[80]](#footnote-81)) :"وقد جاء ذِكْر اللَّعْنة على إضاعة عَهْد الله في التوراة مرَّات ، وأشهرها العَهْد الذي أخذه موسى على بني إسرائيل في حوريب حَسْبما جاء في سفر الخروج في الإصحاح الرابع والعشرين([[81]](#footnote-82)) ...."([[82]](#footnote-83)) .

هذا النَّصُّ وما بعده من النصوص التوراتية جاء بها ابن عاشور ليبين توافُقَ التوراة مع ما في القرآن من أمر بني إسرائيل ببيان الكتاب كالآية السابقة([[83]](#footnote-84)) وكقوله تعالى : وإذْ أَخَذَ الله ميثاقَ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ([[84]](#footnote-85)) . فالنُّصوص التي جاء بها هي من الإسرائيليات التي جاء في شرعنا ما يؤيِّدها ، وهي مما تجوز روايتُهُ وتَصْديقُهُ ، وقد أحسن ابن عاشور رحمه الله في إيراد هذه النُّصوص ليبين تقصيرَ اليهود في حقِّ كتابهم الذي يؤمنون به فضلاً عن القرآن الكريم وليقيمَ عليهم الحجَّة من كتابهم .

**النموذج الرابع عشر** : قال في تفسير قول الله سبحانه : فَمَنْ عُفِيَ لأخيهِ شَيْءٌ فاتِّبَاعٌ بالمعْرُوفِ وأَدَاءٌ إليهِ بإِحْسانٍ ذلك تَخْفيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ ورَحْمةٌ([[85]](#footnote-86)) :"قيل: إن الآية أشارت إلى ما كان في الشريعة الإسرائيلية من تعيين القَصَاص على قاتل العَمْد دون العَفْو ودون الدِّيَة ، كما ذكره كثير من المفسِّرين وهو في صحيح البخاري عن ابن عباس([[86]](#footnote-87)) ، وهذا ظاهرُ ما في سفر الخروج :الإصحاح الثالث([[87]](#footnote-88)) : مَنْ ضَرَبَ إنساناً فمات يُقتل قَتْلاً ، ولكن الذي لم يتعمَّدْ بل أوقع الله في يَدِهِ فأنا أجعلُ لك مكاناً يَهْرُب إليه ..."([[88]](#footnote-89)) .

في هذا الكلام نلاحظ أن ابن عاشور جاء بنصِّ التوراة ليُفَصِّل إشارةَ القرآن المجملة ؛ فالآية الكريمة بينتْ أن في تشريع العَفْو والدِّيَة لقاتل العَمْد تخفيفاً ، وهذا فيه إشارة إلى وجود تَشْديدٍ في ما سبق من الشَّرائع، ولكن ما هو التَّشْديد وما هي كيفيتُهُ ؟ لم تبينْهُ الآيةُ الكريمة ؛ فجاء ابن عاشور بنصِّ التوراة ليبين ذلك .

وعلى هذا تكون الإسرائيلية التي ذكرها ابن عاشور من القسم الذي جاء في شرعنا ما يصدِّقه فتجوز روايته وتَصْديقه ، والله أعلم .

**النموذج الخامس عشر** : قال في الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها :"وقيل : هو أرميا ابن حلقيا ، وقيل : عُزير بن شرحيا (عزرا بن سَرَّيَّا) ... والذي يظهر لي أنه حزقيال بن بوزي نبي إسرائيل ..." وذكر تفاصيل عنه من كُتُب بني إسرائيل([[89]](#footnote-90)) .

في هذا النَّصِّ من تفسير ((التحرير والتنوير)) نرى أن ابن عاشور بيَّن مُبْهَم القرآن في هذه الآية بما في كتب بني إسرائيل . وقد نقل عن سفر حزقيال قوله :"فتقاربت العظام كلُّ عَظْمٍ إلى عَظْمه ونظرتُ وإذا بالعَصَب واللَّحْم كَسَاها وبسط الجلد عليها"([[90]](#footnote-91)).

والمطَّلع على القصَّة في التوراة يجد أنها تختلف عن القصَّة المذكورة في القرآن([[91]](#footnote-92)) . ومن هنا يمكنني القول: إن ادِّعاء أن الرجل الذي ذَكَرَه الله في هذه الآية هو حزقيال ادِّعاءٌ يحتاج إلى دليل صحيح في شرعنا ، وما هو مذكور في التوراة لا يمكن التَّعْويل عليه لأمرين :

الأمر الأول : أنه لا يمكن الجزم بشيء في التوراة ما لم يَدُلَّ عليه دليلٌ صحيح في شرعنا .

الأمر الثاني : أن القصة المذكورة في التوراة لحزقيال لا تُشْبِهُ القصَّةَ التي ذُكرتْ في القرآن .

ويظهر أن الذي دَفَعَ ابنَ عاشور إلى الأخذ بما في التوراة لتعيين مُبْهَم القرآن هنا هو توافُقُ القرآن مع التوراة في أصل القصَّة (أعني : قضية إحياء دابَّة الرَّجل) ، ولكن هذا لا يكفي لما سبق ، والله أعلم .

**النموذج السادس عشر** : قال ابن عاشور :"وزكريا كاهنٌ إسرائيليٌّ اسمه : زكريا من بني أبيَّا بن باكر بن بنيامين ، من كهنة اليهود ... وكانت امرأتُهُ نسيبةَ مريم كما في إنجيل لوقا ؛ قيل : كانت أختَها ، والصحيح أنها كانت خالتَها أو من قرابة أمِّها"([[92]](#footnote-93)) . لي مع هذا النَّصِّ وقفات :

**الوقفة الأولى** : قوله رحمه الله عن زكريا عليه السلام :"اسمه زكريا من بني أبيَّا بن باكر بن بنيامين" هذا الكلام ذكره ابن عاشور عن الإنجيل([[93]](#footnote-94)) دون أن يصرِّح ، ونلاحظ أنه ذكره جازماً به . والذي أراه أن الذي كان ينبغي فعله هو أن يُقال مثلاً :"ذُكر في الإنجيل أنه من بني أبيَّا ..." ؛ وذلك لأن هذه التَّفاصيلَ المذكورة هي من الإسرائيليات التي لم يأتِ في شَرْعنا ما يصدِّقها أو يكذِّبها ، لذا فهي من القسم الذي تجوز روايته مع الإشارة إلى التوقُّف في تصديقها .

**الوقفة الثانية** : قوله عن زوجة سيدنا زكريا :"وكانت امرأتُهُ نسيبةَ مريم كما في إنجيل لوقا" أقول : الذي دلَّ عندنا نحن المسلمين على أن امرأةَ زكريا نسيبةُ مريم هو ما جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم في صحيح السُّنة وليس إنجيل لوقا ؛ ففي قصَّة الإسراء والمعراج من حديث مالك بن صَعْصَعَة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"... فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة"([[94]](#footnote-95)) .

فلا أدري لِمَ عَدَلَ ابن عاشور رحمه الله عن هذا الحديث الصَّحيح إلى إنجيل لوقا ؛ فإن كان لم يعلمْ أن هذه المعلومة ثبتتْ في شرعنا فلا ينبغي له الجزم بصحَّتها ، وإن كان يعلمُ ذلك فلا أدري سبب عُدُوله إلى الإنجيل ؛ اللهمَّ إلا أن يريدَ إبرازَ موافقةِ ما عند أهل الكتاب لما ثبت عندنا ، ولكن مع ذلك كان ينبغي الإشارة إلى الحديث الصَّحيح المتقدِّم.وهذا كلُّه مما يبين عنايةَ ابن عاشور الكبيرة بالنَّقْل عن كتب بني إسرائيل.

**الوقفة الثالثة** : قوله عن امرأة زكريا :"قيل : كانت أختَها [أي : أخت مريم] ،والصَّحيح أنها كانت خالتَها أو من قرابة أمِّها" . أقول : القول الأول الذي صدَّره بصيغة التمريض (قيل) مبنيٌّ على ظاهر السُّنة الصَّحيحة ؛ ففي الحديث السابق وَصَفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عيسى ويحيى عليهما السلام بأنهما "ابنا خالة" ، وهذا يقتضي أن أمَّيهما أختان ، أي : امرأة زكريا هي أخت مريم . أما القول الثاني فلا أدري ما مستنده ، إنما ذكره الطَّبري رحمه الله عن بعض مفسِّري السلف([[95]](#footnote-96)) ، ولا أدري ما المانع من الأخذ بظاهر الحديث؟! وقد توقَّف ابن كثير رحمه الله في التَّرْجيح بين القولين لكنَّه حاول مع ذلك أن يجمع بين القول بأن امرأة زكريا هي خالة مريم وبين ظاهر الحديث([[96]](#footnote-97)) .

ومع ذلك الذي أراه أنه لا مانع من الأخذ بظاهر الحديث والقول به ، وقد رُوي عن قَتَادة السَّدُوسي القول به([[97]](#footnote-98)) ، وهو ما ذكره محمد بن إسحاق في ((المبتدأ)) فيما نقل عنه الحافظ ابن حجر([[98]](#footnote-99)) ، والله أعلم .

**النموذج السابع عشر** : في تفسير قوله تعالى : وإذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبيِّين لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كتابٍ وحِكْمَةٍ ثمَّ جاءَكُمْ رسولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ به ولَتَنْصُرُنَّهُ ...([[99]](#footnote-100)) استشهد لما جاء في الآية الكريمة بنصوص من التوراة والإنجيل فقال :"... جاء في سفر التثنية قول موسى عليه السلام : (قال لي الرَّبُّ: أقيمُ لهم نبياً من وَسَطِ إخوتهم مثلَكَ وأجعلُ كلامي في فَمِهِ فيكلِّمُهم بكلِّ ما أوصيه) وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل ، ولو كان المراد نبياً إسرائيلياً لقال : أقيم لهم نبياً منهم"([[100]](#footnote-101)) .

نلاحظ هنا أن ابن عاشور بـيَّن أن قوله تعالى : ((ميثاق النبيين)) يشمل موسى ، فجاء بنصِّ التوراة ليمثِّل لما ذكره القرآن . ونحن نرى في هذا الكلام كيف بـيَّن وَجْهَ الاستشهاد بالنَّصِّ التوراتي ؛ حيث بـيَّن أن قول موسى (من وَسَط إخوتهم) يدلُّ على أن النبيَّ الموعود به هو من إخوة بني إسرائيل وليس من بني إسرائيل ، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل ، وهذا ينطبق على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا يكون هذا النَّصُّ التوراتي مثالاً لما ذكرتْهُ الآية الكريمة . وقد ذكر ابن عاشور بعد ذلك نصوصاً من الإنجيل هي أقوالٌ لسَيِّدنا عيسى عليه السلام يبشِّرُ بها بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

**النموذج الثامن عشر** : قال ابن عاشور :"ووَرَدَ في التوراة النَّهْيُ عن السِّحْر ؛ فهو معدودٌ من خصال الشِّرْك ، وقد وصفتِ التوراة به أهلَ الأصنام ؛ فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح (18)([[101]](#footnote-102)) : إذا دخلتَ الأرضَ التي يُعْطيكَ الرَّبُّ إلهُكَ لا تتعلَّم أن تفعلَ مثلَ رِجْس أولئك الأمم لا يُوجد فيك مَنْ يَزُجُّ ابنَهُ أو ابنتَهُ في النَّار ولا مَنْ لا يَعْرُف عِرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا مَنْ يَرْقي رُقْيةً ولا مَنْ يسأل جانّاً أو تابعة ولا مَنْ يستشير الموتى ؛ لأن كلَّ مَنْ يفعل ذلك مَكْروهٌ عند الرَّبِّ ..."([[102]](#footnote-103)) .

ذكر ابن عاشور هذا النَّصِّ التوراتي ليُثْبِتَ به أن السِّحْر محرَّم عند اليهود ، لكي ينفيَ ما قد يُوهِمُهُ كلامُهُ قبل هذا النَّص ؛ إذ أنه ذَكَرَ أن العرب كانوا "يزعمون أن أعلمَ النَّاس بالسِّحْر اليهود ... وقد اعتقد المسلمون أن اليهود في يَثْرِبَ سَحَروهم فلا يُولَد لهم ، فلذلك استبشروا لما وُلد عبدالله بن الزُّبَيْر وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة كما في صحيح البخاري([[103]](#footnote-104)) . ولذلك لم يَكْثُر ذِكْر السِّحْر بين العرب المسلمين إلا بعد أن هاجروا إلى المدينة ؛ إذ قد كان فيها اليهود وكانوا يوهمون بأنهم يسحرون الناس"([[104]](#footnote-105)) ؛ فهذا الكلام يفيد أن السِّحْر كان كثيراً عند اليهود الذين يدَّعون أنهم على الدِّين الحق ، وهذا قد يوهم بأن السِّحْر كان مباحاً عندهم ، فجاء ابن عاشور بهذا النَّص التوراتي ليبين أن التوراة التي بين أيدي اليهود وافقتِ القرآن في ذمِّ السِّحْر وتحريمه وأنهم قد خالفوا توراتهم .

فابن عاشور جاء بنصٍّ توراتي اتفق مع القرآن في ذمِّ السِّحْر وتحريمه ،وهو من الإسرائيليات التي تجوز روايتها وتصديقها ، والله أعلم . وقد أبدع ابن عاشور في إيراد هذه الإسرائيلية .

المبحث الثاني : ما جاء به ابن عاشور من الإسرائيليات وليس في كلامه ما يدلُّ على قبوله أو ردِّه له

فيما يأتي نماذج على هذا القسم :

**النموذج الأول** : قال ابن عاشور :"وقد اختلف أهل القَصَص في تعيين نَوْع هذه الشَّجَرة ؛ فعن علي وابن مسعود وسعيد بن جُبَيْر والسُّدِّي أنها الكَرْمة ، وعن ابن عباس والحسن وجمهور المفسِّرين أنها الحنطة، وعن قَتَادة وابن جُرَيْج ـ ونَسَبَهُ ابن جُرَيْج إلى جَمْع من الصَّحَابة ـ أنها شَجَرة التِّين ، ووَقَعَ في سفر التكوين من التوراة إبهامها وعبَّر عنها بشجرة معرفة الخير والشَّر"([[105]](#footnote-106)) .

في هذا النَّصِّ ينقل ابن عاشور أقوالاً في تعيين الشَّجَرة التي نهى الله تعالى آدمَ عليه السلام وزوجَهُ أن يأكلا منها ، ونرى أن ابن عاشور اكتفى بنقل الأقوال ومنها ما في التوراة دون أن يرجِّحَ أحدَها ، وذلك لعَدَمِ وجود دليلٍ يُعتمد عليه في التَّرْجيح بينها .

فابن عاشور حَكَى ما في التوراة دون أن يُصَدِّقَهُ أو يُكَذِّبَهُ لعدم ثبوت ما يوافقُهُ أو يخالفُهُ عنده في شرعنا . وإن كنتُ أميل إلى استبعاد ما في التوراة ؛ إذ كيف ينهى الله تعالى عما يُفَرَّق به بين الخير والشَّر ؟!

**النموذج الثاني** : قال ابن عاشور في الـمَنِّ :"وقد وصفتْهُ التوراة([[106]](#footnote-107)) بأنه دقيقٌ مثل قُشُور يَسْقُطُ نَدَى كالجليد على الأرض ..."([[107]](#footnote-108)) .

ظاهرٌ في هذا النَّص أن ابن عاشور نَقَلَ عن التوراة مع توقُّفه عن التَّصْديق والتَّكْذيب ؛ فقد اكتفى بقوله:"وقد وصفتْهُ التوراة" . وإنما توقَّف في قَبُوله أو ردِّه لكونه لم يثبتْ في شرعنا ما يوافقه أو يناقضه ، فهو من القسم الذي تجوز روايته دون تصديق أو تكذيب من الإسرائيليات .

**النموذج الثالث** : قال في تفسير قوله تعالى : وإذِ اسْتَسْقَى موسى لقَوْمِهِ فقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ([[108]](#footnote-109)) :"و(ال) في (الحجر) لتعريف الجنس ، أي : اضربْ أيَّ حَجَرٍ شِئْتَ ، أو للعَهْد مشيراً إلى حَجَرٍ عَرَفَهُ موسى بوَحْيٍ من الله وهو صَخر في جبل حوريب الذي كلَّم الله منه موسى كما وَرَدَ في سفر الخروج([[109]](#footnote-110))، وقد وردت فيه أخبار ضعيفة"([[110]](#footnote-111)) .

ذكر ابن عاشـور في الحجر الذي أُمر موسى عليه السلام بضربه بعصاه احتمالين لم يرجِّحْ أحدَهما على الآخر :

**الاحتمال الأول** : أن المراد بالحجر أيُّ حَجَرٍ ، أي : دون تعيين حَجَرٍ بعَيْنه ، وقد ذكر الزَّمَخْشري هذا القول ونَسَبَهُ للحسن البَصْري رحمه الله([[111]](#footnote-112)) .

**الاحتمال الثاني** : أن المراد بالحجر حَجَرٌ مُعَيَّنٌ يَعْرِفُهُ موسى عليه السلام ، وقد رُوِيَ هذا القول عن ابن عبَّاس وسعيد بن جُبَيْر وقَتَادة السَّدُوسي وغيرهم([[112]](#footnote-113)) ويظهر من كلام ابن عَطِيَّة أنه يرى الإجماعَ على هذا القول([[113]](#footnote-114)) وهو غير صحيح فقد اختُلف فيه كما هو معلوم . وقد اختَلَفَ أصحابُ هذا القول في صِفَة الحَجَر ، والذي ذكره ابن عاشور من أن الحَجَر هو من الجبل الذي كلَّم الله فيه موسى رُوي عن قَتَادة([[114]](#footnote-115)) .

وقد أحسن العلامة ابن عاشور إذ ذَكَرَ الاحتمالين دون ترجيح ؛ إذ أن الآية محتملةٌ لهما ولا يُوجَدُ دليلٌ صحيحٌ يُعتمد عليه في ترجيح أحدهما .

الملاحظ هنا أن ابن عاشور لم يرجِّح ما في التوراة لعدم وجود ما يصدِّقُهُ أو يكذِّبه في شرعنا ؛ فهو مما يجب التوقُّف فيه من الإسرائيليات مع جواز روايته .

**النموذج الرابع** : قال ابن عاشور :"وإبراهيم اسم الرَّسول العظيم الملقَّب بالخليل ، وهو إبراهيم ابن تارح ـ وتسمِّي العربُ تارحَ بآزر ـ بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالح بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح ؛ هكذا تقول التوراة"([[115]](#footnote-116)) .

في هذا النَّصِّ نقل ابن عاشور عن التوراة ، ويظهر من كلامه أنه متوقِّف في قبول هذا النَّصِّ أو ردِّه ، وهذا واضحٌ في قوله بعد أن نَقَلَ المعلومة :"هكذا تقول التوراة" .

إن هذا الموقف من ابن عاشور هو الموقف الصحيح مع أمثال هذا النَّصِّ ؛ فهو من القسم الذي لم يأتِ في شرعنا ما يوافقه أو يخالفه فتجوز روايته دون تصديق أو تكذيب .

ومثل هذا النَّصِّ كلام ابن عاشور حول معنى (إبراهيم) إذ يقول ابن عاشور :"وفي التوراة أن اسم إبراهيم : إبرام ، وأن الله لما أوحى إليه وكلَّمه أمره أن يُسمَّى إبراهيم ؛ لأنه يجعله أباً لجمهور من الأمم ؛ فمعنى إبراهيم على هذا : أبو أمم كثيرة"([[116]](#footnote-117)) .

فالملاحظ أن ابن عاشور نَقَلَ عن التوراة نصاً ناسباً له لمصدره دون ما يشير إلى تصديقه أو تكذيبه له ، لأنه من القسم الذي سكت عنه شرعُنا من الإسرائيليات .

**النموذج الخامس** : قال ابن عاشور :"وكان اليهود يتباعدون عن الحائض أشدَّ التَّبَاعُدِ بحُكْم التوراة ؛ ففي الإصحاح الخامس عشر من سفر اللاويين : إذا كانت امرأةٌ لها سَيْل دماً في لحمها فسبعة أيام تكون في طَمَثِها وكلُّ مَنْ مَسَّها يكون نَجِساً إلى المساء وكلُّ ما تَضْطَجِعُ عليه يكون نَجِساً وكلُّ مَنْ مسَّ فراشَها يغسلُ ثيابَهُ ويستحمُّ بماء ..."([[117]](#footnote-118)) .

نرى هنا أن ابن عاشور جاء بالإسرائيلية ـ وهي نصٌّ توراتي ـ ليثبتَ صحةَ ما كان مشهوراً عن اليهود عند العرب أثناء نزول القرآن من تباعُدِهم عن الحائض ؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه "أن اليهود كانوا إذا حاضتِ المرأةُ منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت ..."([[118]](#footnote-119)) ، لذا جاء ابن عاشور بنصِّ التوراة ليبين أصلَ هذا العَمَل عند اليهود .

ونلاحظ في هذا النَّصِّ أن ابن عاشور جاء بنصِّ التوراة دون ما يشير إلى تصديقٍ أو تكذيبٍ لعدم وجود ما يوافقه أو يخالفه في شرعنا ؛ فليس في القرآن ولا في السُّنة الصحيحة ما يثبت أن الله تعالى شَرَعَ هذا التَّشْريع لموسى عليه السلام في التوراة . والله أعلم .

**النموذج السادس** : قال في قوله تعالى : فَنَادَتْهُ الملائكةُ وَهُوَ قائِمُ في المِحْرَابِ أنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ...([[119]](#footnote-120)) :"وإسناد الفعل للجَمْع يجوز فيه التأنيثُ على تأويله بالجماعة ، أي : نادتْهُ جماعةٌ من الملائكة ، ويجوز أن يكونَ الذي ناداه مَلِكاً واحداً وهو جِبْريل ، وقد ثبت التَّصْريح بهذا في إنجيل لوقا([[120]](#footnote-121)) ؛ فيكون إسناد النِّداء إلى الملائكة من قَبِيل إسناد فِعْل الواحد إلى قبيلته كقوله : قتلتْ بَكْرٌ كُلَيْباً"([[121]](#footnote-122)) .

الملاحظ في هذا النَّصِّ أن ابن عاشور جوَّز ما في الإنجيل دون أن يجزم بصحَّتِهِ ، وذلك لأن شَرَعْنا يحتملُهُ ويحتمل غيرَهُ ؛ فلُغَة الآيةِ الكريمةِ تحتمل أن يكون الذي نادى زكريا جماعةً من الملائكة وتحتمل أيضاً أن يكونَ الذي ناداه مَلَكاً واحداً .

فهنا نرى ابن عاشور رحمه الله تعالى لم يرجِّح أحدَ الاحتمالين على الآخر لأن الآيةَ تحتملُهما بالقوَّة نفسِها ولم يرجِّح الاحتمالَ الذي تؤيِّدُه التوراة .

وهذا يبين حِرْصَ ابنِ عاشور على وجود دليلٍ يَصِحُّ الاعتماد عليه في تصديق ما في التوراة والإنجيل .

المبحث الثالث : ما جاء به ابن عاشور من الإسرائيليات وفي كلامه ما يدلُّ على ردِّه لها

فيما يأتي نماذج لهذا القسم :

**النموذج الأول** : تكلَّم ابن عاشور عن معنى اسم (إسرائيل) وأنه لَقَبُ يعقوب عليه السلام ثم قال : "والذي في كُتُب اليهود أن سَبَبَ تَسْمية يعقوب إسرائيل أنه لما كان خائفاً في مهاجره من أن يَلْحَقَهُ أخوه عيسو لينتقِمَ منه عَرَضَ له في إحدى الليالي شَخْصٌ فعَلِمَ أنه ربُّه([[122]](#footnote-123)) ـ أي : مَلَكٌ من ملائكة الله ـ فأمسكَهُ وصارَعَهُ يعقوب كاملَ اللَّيْل إلى طلوع الفَجْر ... فقال له : ما اسمُكَ ؟ قال : يعقوب . قال له : لا يُدْعَى اسمك يعقوب بعد اليوم ، بل أنت إسرائيل ؛ لأنَّكَ جاهدْتَ الله والناس وقدرتَ . وباركَهُ هناك" ، ثم قال : "فإذا كان هذا من أصل التوراة فهو على تأويل رؤيا رآها يعقوب جعل الله بها له شَرَفاً أو عَرَضَ له مَلَكٌ كذلك"([[123]](#footnote-124)).

نرى في هذا النَّص أن ابن عاشور نقل عن "كتب اليهود" نصاً ، ثم علَّق عليه بقوله :"فإذا كان هذا من أصل التوراة .." ولي مع هذا النَّص المهمِّ وقفتان :

**الوقفة الأولى** : قول ابن عاشور :"فإذا كان هذا من أصل التوراة" ؛ ففي هذه العبارة إشارةٌ صريحةٌ إلى أنه يتشكَّكُ في صحَّة ما مَوْجود في التوراة اليوم وأن فيها ما ليس في التوراة الأصلية المنزَّلة على سيِّدنا موسى عليه السلام .

**الوقفة الثانية** : قوله :"فهو على تأويل رؤيا رآها يعقوب ..." ؛ ففي هذه العبارة نرى أن ابن عاشور يرى أن النَّصَّ التوراتي المذكور لا يمكن قبوله لأنه مخالفٌ للمنطق ؛ إذ كيف يتصارَعُ نبيٌّ كريم مع مَلَك من ملائكة الله ؟!

فلذلك هو يتشكَّكُ في صحَّة ثبوت النَّص ، ويرى أن النَّصَّ إن ثبتتْ صحَّته فإنه مؤوَّل بما ذَكَره .

**النموذج الثاني** : قال ابن عاشور :"فلذلك كانوا [يعني اليهود] يرتكبون التحيُّل في شَرْعهم وتجد كُتُبَهم مَلْأَى بما يَدُلُّ على أن الله ظهر له كذا وعَلِمَ أن الأمر الفلانيَّ كان على خلاف المظنون وكقولهم([[124]](#footnote-125)) في سفر التكوين : (وقال الرَّبُّ هو ذا الإنسان قد صار كواحد مِنَّا يَعْرِفُ الخير والشَّر)([[125]](#footnote-126)) وقال فيه : (ورأى الرَّبُّ أن شرَّ الإنسان قد كثُر فحَزِنَ الرَّبُّ أنه عَمِلَ الإنسانَ في الأرض وتأسَّفَ في قَلْبه ، فقال : أمحو عن وَجْه الأرض الإنسانَ الذي خَلَقْتُهُ)([[126]](#footnote-127)) ..." ثم ذكر نصاً ثالثاً أترك نَقْلَهُ لطوله ، ثم قال :"فما ظنُّكَ بقومٍ هذه مبالِغُ عقائدِهم أن لا يقولوا : لا تُعْلِموهم لئلَّا يُحاجُّوكم عند الله يوم القيامة ، وبهذا يندفع استبعادَ البَيْضَاويِّ وغيرِهِ([[127]](#footnote-128)) أن يكونَ المراد بـ (عند ربِّكم) يوم القيامة بأن إخفاء الحقائق لا يفيد مَنْ يحاوله ، حتى سَلَكوا في تأويل معنى قوله (عند ربِّكم) مسالِكَ غايةَ التَّكَلُّف ؛ قياساً منهم لحال اليهود على حال عقائد الإسلام"([[128]](#footnote-129)) .

هذا نصٌّ بديعٌ ، وهو من إبداعات العلامة ابن عاشور رحمه الله ؛ إذ أنه أثبت فيه إمكانيةَ الإفادةِ في تفسير القرآن من الإسرائيليات الباطلة ، وبيان ذلك فيما يأتي :

إن ابن عاشور ذَكَرَ هذا الكلام في معرض تفسيره لقوله تعالى : وإذا لَقُوا الذين آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وإذا خَلَا بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهم بما فَتَحَ الله عَلَيْكُمْ ليُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ ربِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلونَ([[129]](#footnote-130)) ؛ حيث ذهب إلى "أن قوله (عند ربِّكم) ظَرْفٌ على بابِهِ مرادٌ منه عنديةُ التَّحَاكُمِ المناسب لقوله : (يحاجُّوكم) وذلك يوم القيامة ... وذلك جارٍ على حكاية حال عقيدة اليهود من تشبيههم الرَّبَّ سبحانه وتعالى بحُكَّام البَشَر في تمشِّي الحِيَل عليه وفي أنه إنما يأخذ المسبَّبات من أسبابها الظاهرية"([[130]](#footnote-131)) .

إن ابن عاشور فسَّر قوله تعالى : (عند ربِّكم) على ظاهره ، وهذا قد يستبعدُهُ ويتعجَّبُ منه جُهَّال المسلمين فضلاً عن علمائهم ؛ إذ لا يُعْقَل عندهم وصولُ الجَهْل إلى هذا الحدِّ ؛ لذا نجده يدلِّلُ على عِظَمِ جَهْل اليهود بربِّهم من كُتُبِهم ، فنَقَلَ عن توراتهم نصوصاً مَنْ يَقْرَؤُها يستطيعُ فَهْمَ الآية الكريمة على ظاهرها ويجدها مطابقةً تمام المطابقة لحال اليهود وعقيدتهم بربهم .

إن صنيع الطاهر ابن عاشور هذا فيه دِلالاتٌ مُهِمَّةٌ ، منها :

1. إنه يَرُدُّ كلَّ ما يناقض شَرْعنا مما في كُتُب أهل الكتاب مناقضةً لا يمكن أن تُؤَوَّل ، وإنه يجزم بأن ما يناقض شَرْعَنا مناقضةً صريحةً مما في كُتُب أهل الكتاب هو من أقوالهم وصُنْعهم ، وهذا ظاهرٌ من قول ابن عاشور :"كقولهم في سفر التكوين .." .
2. إن ثقافةَ المفسِّر واطلاعَهُ على حقيقةِ عقيدةِ أهلِ الكتاب مهمةٌ جداً في فَهْم بعض نصوص القرآن كهذه الآية .

**النموذج الثالث** : قال في تفسير قوله تعالى : وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ([[131]](#footnote-132)) :"وقد كان اليهود يعتقدون كُفْرَ سُلَيْمان في كُتُبهم ؛ فقد جاء في سفر الملوك الأل أن سُلَيْمان في زمن شيخوخته أمالتْ نساؤُهُ المصريات والصَّيْدونيات والعَمُونيات قلبَهُ إلى آلهتهنَّ مثـل (عشتروت) إلـه الصَّيْـدونيين و (مُولوك) إلـه العَمُونيين ـ الفينيقيين ـ وبنى لهاته الآلهة هَيَاكِلَ ؛ فغَضِبَ الله عليه لأن قَلْبَهُ مالَ عن إله إسرائيل الذي أوصاه أن لا يتبعَ آلهة أخرى"([[132]](#footnote-133)) .

ذكـر ابن عاشور هذا النَّصَّ التوراتي الباطل ليُثْبِتَ من كُتُب اليهود ما أشارت إليه الآية من أن اليهود ـ لعنهم الله ـ ينسبون سُلَيْمان عليه السلام إلى الكُفْر .

إن صنيعَ ابن عاشور هذا صنيعٌ موفَّقٌ يُشْكَرُ عليه ، وهو مما يبين حاجةَ المفسِّر إلى تعلُّم حقيقةِ عقائدِ أهل الكتاب ولا سيَّما تلك التي تفيد المفسِّرَ في جلاء معنى الآية القرآنية .

**النموذج الرابـع** : قـال في تفسير قولـه تعالى : وما أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ ببابِلَ هارُوتَ ومارُوتَ ...([[133]](#footnote-134)) :".. ولأهل القَصَص هنا قصَّةٌ خُرَافيةٌ من مَوْضوعات اليهود في خُرَافاتهم الحديثة ..."([[134]](#footnote-135)).

والقصة التي يشير إليها هي ما رُوي من أن الملكين "مُثِّلا بَشَرَيْنِ ورُكِّبَ فيهما الشَّهْوة فتعرَّضا لامرأة يُقال لها زهرة فحَمَلَتْهما على المعاصي والشِّرْك ثم صعدتْ إلى السَّماء"([[135]](#footnote-136)) .

في هذا النَّصِّ نرى أن ابن عاشور صرَّح أن لليهود خُرَافاتٍ وَضَعوها كَذِباً وزُوراً ، وهذا يثبتُ أن ابن عاشور يَقِفُ مَوْقفَ النَّاقد لما جاء به أهل الكتاب .

ونلاحظ أن ابن عاشور لم يورد نصَّ القصَّة ، وإنما اكتفى بنَقْدِها نَقْداً شديداً ، وكأنه يرى أن القصَّة لشِدَّة مخالفتها لما ثبت في شرعنا ـ من عصمة الملائكة من الوقوع في المعاصي ـ عدمَ جواز حكايتها .

وهنا لا بدَّ من بيان أمر غاية في الأهمية ؛ فقد انتقد ابن عاشور الإمامَ أحمد بن حنبل بسبب روايته للقصة مسندةً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :"والعجب للإمام أحمد بن حَنْبل رحمه الله تعالى كيف أخرجها مسندةً عن النبي صلى الله عليه وسلم([[136]](#footnote-137)) ، ولعلَّها مَدْسوسةٌ على الإمام أحمد ، أو أنه اغترَّ بظاهر حال رواتها مع أن فيهم موسى بن جُبَيْر وهو مُتكلَّم فيه ..."([[137]](#footnote-138)) .

أقول : ليس هناك ما يَدْعو إلى العَجَب ؛ فالإمام أحمد رحمه الله لم يقتصرْ في مُسْنده على ما صحَّ من الأحاديث كما هو مَعْلوم ، لذا فلا داعيَ للعَجَب ولا لإيراد الاحتمالين البَعِيدَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهما ابن عاشور ، وهما : أن تكونَ الرِّواية مَدْسوسةً على الإمام أحمد ، أو أن الإمام أحمد اغترَّ بظاهر حال رواتها .

وقد نقل الحافظ ابن كثير هذا الحديث من المسند ثم تكلَّم عليه بما يَكْفي ويَشْفي([[138]](#footnote-139)) ، فجزاه الله خيراً .

وما ذكره ابن عاشور من أن القصَّة هي من موضوعات اليهود وخرافاتهم التي تسرَّبت إلى كُتُب التفسير هو الصحيح ؛ فهي من قَصَص كَعْب الأحبار نَقَلَها من كُتُب بني إسرائيل([[139]](#footnote-140)) .

**النموذج الخامس** : ذكر قصة نقلاً عن سفر صموئيل ثم قال :"هكذا وقع في سفر صموئيل ، غير أن ظاهر سياقه أن رجوع التابوت إليهم كان قبل تمليك شاول([[140]](#footnote-141)) ، وصريحُ القرآن يخالف ذلك ، ويمكن تأويل كلام السفر بما يوافق هذا بأن تُحْمَلَ الحوادثُ على غير تَرْتيبها في الذِّكْر وهو كثيرٌ في كتابهم"([[141]](#footnote-142)) .

في هذا النَّصِّ يَظْهَر أساسٌ مُهِمٌّ من أُسُس تعامُلِ ابن عاشور مع الإسرائيليات ؛ فهو لا يَقْبَلُ بالإسرائيلية التي تخالفُ صريحَ القرآن الكريم ، لكنْ إذا أمكن تأويلُ الإسرائيليةِ لتكونَ موافقةً للقرآن فإنه يؤوِّلُها، كما في هذا النَّص .

وقد يَلْجَأُ إلى تفسير القرآن بما يوافق كُتُبَ بني إسرائيل ؛ ففي قوله تعالى: تَحْمِلُهُ الملائكةُ بـيَّن ابن عاشور أن معنى الحمل هنا هو التَّرْحيل ، أي : الحمل على الرَّاحلة ، ثم قال :"فمعنى حَمْل الملائكةِ التَّابوتَ هو تَسْييرهم بإذن الله البَقَرَتَيْنِ السَّائرتين بالعَجَلة التي عليها التَّابوت إلى محلَّة بني إسرائيل من غير أن يَسْبِق لهما إِلْفٌ بالسَّيْر إلى تلك الجهة ؛ هذا هو الملاقي لما في كُتُب بني إسرائيل"([[142]](#footnote-143)) .

وقد اختلف المفسرون في كيفية حمل الملائكة للتابوت ؛ فمنهم مَنْ ذَكَرَ ما ذكره ابن عاشور ومنهم من ذكر غيره ، والذي أراه في تفسير الآية أن يُقال :إن الله تعالى أخبرنا أن الملائكة حملتِ التابوتَ ولم يُخْبِرْنا بكيفية ذلك ، لذا ينبغي أن نتوقَّفَ في كيفية ذلك ولا نجزم بشيء ، وتجوز رواية ما في كُتُب بني إسرائيل لكن دون تَصْديق أو تَكْذيب .

**النموذج السادس** : قال :"وقد جاء في سفر التكرين من كتاب العهد عند اليهود ما يقتضي أن آدم وُجد على الأرض في وقت يوافق سنة (3942) اثنتين وأربعين وتسع مئة وثلاثة آلاف قبل ميلاد عيسى([[143]](#footnote-144))، وأنه عاش تسع مئة وثلاثين سنة([[144]](#footnote-145)) ، فتكون وفاته في سنة (3012) اثنتي عشرة وثلاثة آلاف قبل ميلاد عيسى؛ هذا ما تقبَّله المؤرِّخون المتَّبعون لضَبْط السنين . والمظنون عند المحقِّقين الناظرين في شواهد حضارة البَشَرية أن هذا الضَّبْط لا يُعتمد وأن وجود آدم متقادم في أزمنةٍ مُتَراميةٍ البُعْد هي أكثر بكثير مما حدَّده سفر التكوين"([[145]](#footnote-146)) .

في هذا النَّصِّ نجد أن ابن عاشور ساق ما في التوراة وذكر أنه وافقه بعض المؤرِّخين ، ثم ذكر أن المحقِّقين لا يعتمدون هذا الضَّبْط وأن آدم عليه السلام متقادم في أزمنة مترامية البُعْد هي أكثر بكثير مما حدَّدتْهُ التوراة .

والقارئ لهذا النَّصِّ يَلْمَسُ منه مَيْلَ ابن عاشور إلى عَدَمِ مُوافقةِ ما في سفر التكوين ؛ فهو لم يَعْتمدْ ما في التوراة لعَدَمِ موافقته لما في شواهد حضارة البشرية .

وبهذا يظهر أن ابن عاشور يُخْضِعُ النَّصَّ التوراتي لمقاييس التاريخ وشواهده ، لذا فإن الإسرائيلية يُشترط في قبولها عدم معارضتها لشواهد التاريخ .

**النموذج السابع** : قال ابن عاشور في قوله تعالى على لسان سيِّدنا زكريَّا عليه السلام : قال رَبِّ اجْعَلْ لي آيةً([[146]](#footnote-147)) :"أراد آيةً على وَقْت حصول ما بُشِّر به ، وهل هو قريبٌ أو بعيدٌ ؛ فالآيةُ هي العَلامة الدَّالَّة على ابتداء حَمْل زوجتِهِ . وعن السُّدِّي والرَّبيع : آية تحقق كون الخطاب الوارد عليه وراداً من الله تعالى ، وهو ما في إنجيل لوقا([[147]](#footnote-148)) . وعندي في هذا نَظَرٌ ؛ لأن الأنبياء لا يلتبسُ عليهم الخطاب الوارد عليهم من الله ويعلمونه بعِلْمٍ ضَرُوريٍّ"([[148]](#footnote-149)) .

في هذا النَّصِّ فسَّر ابن عاشور الآيةَ بما بتوافَقُ مع سِيَاق القصَّة ولا يناقضُ ثوابتَ شَرْعِنا ، ثم أورد ما في الإنجيل ولم يَقْبَلْهُ بل ردَّه ؛ لكونه منافياً لثوابت شَرْعنا . فهذا النَّصُّ من الإنجيل هو مما كذَّبه شَرْعُنا ، لذا فلا يجوز إيراده دون بيان بطلانه ، وهذا ما فعله ابن عاشور رحمه الله .

**النموذج الثامن** : قال ابن عاشور :"ووَقَعَتْ في كتاب الخروج من التوراة في الإصحاح الثاني والثلاثين زلَّةٌ كُبْرَى ؛ إذ زعموا أن هارون صَنَعَ العِجْلَ لهم لما قالوا له : اصنعْ لنا آلهة أمامَنا لأنَّا لا نَعْلَمُ ماذا أصاب موسى في الجبل فصَنَعَ لهم عِجْلاً من ذَهَبٍ" ، ثم قال :"وأحْسِبُ أن هذا من آثار تلاشي التوراة الأصليَّة بعد الأسْرِ البابلي ، وأن الذي أعاد كَتْبَها لم يُحْسِنْ تَحْريرَ هذه القصَّة ، ومما نقطع به أن هارون مَعْصومٌ من ذلك لأنه رسول"([[149]](#footnote-150)) .

نلاحظ في هذا النَّصِّ أن ابن عاشور ردَّ ما في التوراة من أن سيِّدَنا هارون عليه السلام هو الذي صَنَعَ العِجْل ليَعْبُدَهُ بنو إسرائيل ، وسمَّى هذا الخبر زلَّةً كُبْرَى ، وذلك لأن هذا الخبر يناقض ثوابتَ الشَّرْع القاضيةَ بعِصْمة الأنبياء من كَبَائر الذُّنوب .

فهذه الإسرائيلية هي من القسم الذي كذَّبه شَرْعنا فلا يجوز تَصْديقه ولا حكايته إلا لردِّه وبيان بُطْلانه ، وهذا ما فَعَلَهُ ابن عاشور رحمه الله .

الخاتمة

بعد رحلتي الماتعة مع ابن عاشور وتفسيره "التحرير والتنوير" ومَوْضوع الإسرائيليات في هذا التفسير يَطِيبُ لي أن أُدْرِجَ ما توصَّلْتُ إليه من نتائجَ في ضَوْء النَّماذج التي عرضتُها ودرستُها ، فأقول وبالله التوفيق :

1. إن ابن عاشور يؤمنُ بوجود التَّحْريف في كُتُب اليهود والنَّصارى ومنها التوراة والإنجيل بالزِّيادة والنُّقْصان والتَّغْيير .
2. ظهرت عنايةُ ابن عاشور الكبيرةُ في إيراد نصوص التوراة والإنجيل ؛ فهو يورد نصوصَهما كلَّما دَعَتِ المناسبةُ لذلك ، ومما يَدُلُّ على عنايته بالنَّقْل عن التوراة والإنجيل أنه يصرِّح بأنه لم يجدْ في كُتُب بني إسرائيل ذِكْراً للقصَّة التي يتحدَّث عنا . وكذلك مما يَدُلُّ على ذلك أيضاً أنه يستدلُّ بنصوصهما على أمور مع وجود ما يَدُلُّ عليها من السُّنة الصحيحة دون الإشارة إلى ذلك .
3. أورد ابن عاشور نصوصاً من التوراة والإنجيل للاستئناس بها على ما أثبت صحَّته بالأدلة .
4. إن من ضوابط قبول ابن عاشور للإسرائيليات :
5. موافقتها لظاهر القرآن الكريم .
6. موافقتها للواقع .
7. عدم مخالفتها لشواهد التاريخ ومعالم حضارة البَشَر .
8. ظهر عند ابن عاشور مَيْلٌ إلى قَبُول تفاصيلِ القصَّة المذكورة في التوراة والإنجيل إذا كان أصلُ القصَّة مذكوراً في القرآن ؛ فهو يرى أن إيراد القرآن لأصلِ القصَّة دليلٌ على إقرار ما هو مَوْجود عند أهل الكتاب من القصَّة بتفاصيلها ، ويرى أيضاً أن من أسباب اختصار القرآن للقصة هو عِلْمُ المخاطَبين بتفاصيلها ، من ذلك تَعْيين مُبْهَمات القرآن بالاعتماد على التوراة والإنجيل .

والذي أراه أن هذا العمل غير صحيح ؛ فالتفاصيل المذكورة في التوراة والإنجيل مما لم يُذكر في شَرْعنا هو من قسم الإسرائيليات التي سَكَتَ عنها شَرْعُنا فتجوز روايتُها دون تَصْديق أو تَكْذيب .

1. ومن آثار النُّقطة السابقة عند ابن عاشور أنه أوَّل بعضَ ظواهر القرآن الكريمة ليجعلَها متوافقةً مع كُتُب بني إسرائيل ، وقد يعتمد على نصوصها في ترتيب أحداث القَصَص القرآني. والذي أراه أن ذلك كلَّه من التفاصيل التي سَكَتَ عنها شَرْعنا فلا تُصدَّق ولا تُكذَّب وتجوز روايتها .
2. أورد ابن عاشور الكثيرَ من النُّصوص من التوراة والإنجيل ليبين موافقةَ القرآن لما عند أهل الكتاب ، وذلك لإثبات تقصير أهل الكتاب في حقِّ كُتُبِهم فضلاً عن القرآن الكريم .
3. بيَّـن ابن عاشور بإيراده الإسرائيليات فائدةَ الإسرائيليات في تَوْضيح القرآن وبيان معانيه ، ولا أعني بالإسرائيليات هنا الصَّادقةَ منها بل حتى الباطلة ؛ فتُوجَدُ أحياناً فائدةٌ من إيراد الإسرائيليات التي ثَبَتَ بطلانها لتوضيح بعض معاني القرآن وإزالة الإشكال عنها .
4. أورد ابن عاشور الكثير من نصوص التوراة والإنجيل التي توقَّف فيها وذلك اعتماداً على إباحة النبي صلى الله عليه وسلم للتَّحْديث عن أهل الكتاب فيما لم يَثْبُتْ كَذِبُهُ ولا صِدْقُهُ ، ونلاحظ أنه ينقل هذا النَّوْع من الإسرائيليات في كثيرٍ من الأحيان على أنها يمكن أن تكون أقوالاً ضمن الأقوال الواردة عن المفسِّرين في تفسير الآية .
5. قد تحتمل لغة الآية أكثرَ من احتمال ، وأحدُ هذه الاحتمالات يوافق ما هو في كُتُب أهل الكتاب ، ومع ذلك لا يرجِّح هذا الاحتمال ، وهذا هو الموقف الصحيح . وألمس في هذا تناقضاً مع مَوْقف ابن عاشور من التفاصيل المذكورة في التوراة والإنجيل مما لم يُذْكَرْ في القرآن؛ إذ أنه قَبِلَ تفاصيلَ القصَّة من التوراة والإنجيل إذا كان أصلُ القصة مذكوراً في التوراة ، كما سبق ذِكْرُه قبل قليل .
6. قد يورد ابن عاشور الإسرائيليات التي يتوقَّف فيها ليبرهن صحَّة ما كان مشهوراً عند المسلمين عن اليهود .
7. ذكر ابن عاشور الإسرائيليات التي يناقض ظاهرُها ظاهرَ القرآن ، لكنُّه لا يردُّ الإسرائيلية بل يؤوِّلها لتتوافَقَ مع القرآن إذا أمكن تأويلُها . وعلى هذا فإن ابن عاشور لا يَرُدُّ الإسرائيليةَ إلا إذا كانت مُنَاقِضَةً للقرآن الكريم مُنَاقَضَةً ظاهرةً وصريحةً بحيث لا تَقْبلُ التَّأويل .
8. إن إيراد ابن عاشور للإسرائيليات الباطلة منها والصحيحة أثبت ضرورةَ اطِّلاع المفسِّر على عقائد أهل الكتاب وشرائعهم التي تتعلَّـق ببيـان آي القرآن الكريم وإزالـة الإشكال عنها.
9. أورد ابن عاشور بعض الإسرائيليات الباطلة ليبين بُطْلان ما عند أهل الكتاب .

وختاماً أسأل الله سبحانه أن يجعلَني مُوَفَّقاً في بَحْثي هذا وأن يجعلَهُ خالصاً لوَجْهِهِ الكريم ، وأن يتقبَّلَهُ ؛ إنه سميعٌ مُجِيبٌ .

**والحمد لله أولاً وآخراً ...**

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب المقدسة :

* القرآن الكريم .
* الكتاب المقدس (العهد القديم ، والعهد الجديد) .

ثانياً : الكتب :

الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر) (تـ 911 هـ) ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

الإسرائيليات والموضوعات في التفسير والحديث : للدكتور محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ، مكتبة السنة ، القاهرة .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوي (ناصر الدين عبدالله بن عمر) (791 هـ) ، دار الفكر ، بيروت .

البحر المحيط في أصول الفقه : للزركشي (بدر الدين محمد بن بهادر) (تـ 794هـ) ، تحقيق : الشيخ عبدالقادر عبدالله العاني ، دار الصفوة ، الغردقة ، ط: 2 ، 1992م .

البحر المحيط في التفسير : لأبي حيان (محمد بن يوسف الأندلسي) (تـ 754هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، 1992م.

التحرير والتنوير : للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، منشورات دار الكتب الشرقية .

تذكرة الأريب في تفسير الغريب : لابن الجوزي (أبي الفرج عبدالرحمن بن علي) (تـ 597هـ) ، تحقيق : د. علي حسين البواب ، مكتبة المعارف، الرياض، ط: 1 ، 1986م .

التفسير : لعبدالرزاق الصنعاني ، تحقيق : د. محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1999م.

تفسير القرآن العظيم : لابن أبي حاتم (عبدالرحمن بن محمد الرازي) (تـ 327هـ) ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، ط: 1 ، 1997م .

تفسير القرآن العظيم : للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (تـ 774 هـ) ، تحقيق جماعة ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، ط: 1 ، 2000م.

التفسير الكبير : للرازي (فخر الدين محمد بن عمر) (تـ 606هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط: 3 ، 1985م.

التفسير والمفسرون: للدكتور محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط:7 ، 2000م .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للطبري (أبي جعفر محمد بن جرير) (تـ 310هـ) ، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط: 1 ، 2001م .

الجامع الكبير : للترمذي (محمد بن عيسى) (تـ 279هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر) (تـ 671هـ) ، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: 1 ، 2006م .

روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : لأبي الفضل محمود شكري الآلوسي (تـ 1270 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط: 4 ، 1985م .

زاد المسير في علم التفسير : لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط: 3، 1404 هـ .

السنن : لأبي داود (سليمان بن الأشعث) (تـ 275 هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .

1. السنن الكبرى : للبيهقي (أحمد بن الحسين) (تـ 458هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، 1994 هـ .

الصحيح :للبخاري (محمد بن إسماعيل) (تـ 256هـ) ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير , اليمامة ، بيروت ، ط: 3 ، 1987م .

الصحيح بترتيب ابن بلبان (الإحسان): لابن حبان (محمد بن حبان البستي) (تـ 354هـ) ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط: 2 ، 1993م.

الصحيح : للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (261 هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) (تـ 852هـ) ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .

1. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري (جار الله محمود بن عمر) (تـ 538هـ) ، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط: 1 ، 1998م .

مجاز القرآن : لأبي عبيدة (معمر بن المثنى) (تـ 210هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط: 2 ، 1970م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر) (تـ 807هـ) ، تحقيق : عبدالله محمد الدرويش ، دار الفكر ، بيروت ، 1994م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية (عبدالحق بن عطية الغرناطي) (تـ 541هـ) ، تحقيق : أحمد صادق الملاح ، مطبعة الأهرام التجارية ، القاهرة ، 1974م.

المسند : للإمام أحمد بن حبنل (تـ 241هـ) ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

المسند : للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط:1 ، 1995م .

المسند : لأبي يعلى (أحمد بن المثنى الموصلي) (تـ 307 هـ) ، تحقيق : حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق، 1984م .

المصنف : لابن أبي شيبة (عبدالله بن محمد) (تـ 235هـ) ، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض، ط: 1، 1409 هـ .

المصنف : لعبدالرزاق بن همام الصنعاني (تـ 211هـ) ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط: 2 ، 1403 هـ .

معجم أصول الفقه : للأستاذ خالد رمضان حسن ، الروضة للنشر والتوزيع ، ط: 1 ، 1998م .

المعجم الكبير : للطبراني (سليمان بن أيوب) (تـ 360 هـ) ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة الزهراء، الموصل ، ط: 2 ، 1983م .

مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية (أحمد بن عبدالحليم) (تـ 728 هـ) ، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى له جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، مصر .

1. () الإسرائيليات والموضوعات في التفسير والحديث للدكتور الذهبي : 13 . [↑](#footnote-ref-2)
2. () المصدر نفسه : 13 ـ 14 . [↑](#footnote-ref-3)
3. () ينظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة : 14. [↑](#footnote-ref-4)
4. () التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي 1/121 . [↑](#footnote-ref-5)
5. () الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي :22 . [↑](#footnote-ref-6)
6. () المصدر نفسه . [↑](#footnote-ref-7)
7. () رواه أحمد في المسند 2/159 و2/202 و2/214 ، والبخاري في صحيحه 3/1273 برقم 3274 ، والترمذي في الجامع الكبير 5/40 برقم (2669) ، ابن حبان في صحيحه 14/149 برقم (6256) . [↑](#footnote-ref-8)
8. () فتح الباري شرح صحيح البخاري 6/498 ـ 499 . [↑](#footnote-ref-9)
9. () الإسرائيليات في التفسير والحديث : 23 . [↑](#footnote-ref-10)
10. () رواه البخاري في صحيحه 2/953 برقم (2539) . [↑](#footnote-ref-11)
11. () سبق تخريجه قبل قليل ، وبيان أنه حديث صحيح . [↑](#footnote-ref-12)
12. () رواه ابن أبي شيبة في المصنف 9/62 ، وأحمد في المسند 2/474 و502 ، وأبو داود في سننه 3/322 برقم (3662) . وذكر الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الحديث من مسند أحمد أنه حديث صحيح . (مسند أحمد بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط 16/125) . [↑](#footnote-ref-13)
13. () رواه البخاري في الصحيح 4/1630 برقم (4251) و6/2679 برقم (6928) و6/2742 بر قم (7103) . [↑](#footnote-ref-14)
14. () رواه عبدالرزاق الصنعاني في المصنف 6/111 برقم (10160) ، والإمام أحمد 4/136 ، وأبو داود في السنن 3/318 برقم 3644 ، وابن حبان في صحيحه 14/151 برقم 6257 ، والبيهقي في السنن الكبرى 2/10 برقم (2071) ، والطبراني في المعجم الكبير 22/349 ـ 351 برقم (874) و(875) و(876) و(877) و(878) و(879). وقال فيه الشيخ شعيب الأرناؤوط :"إسناده حسن" (المسند بتحقيق الشيخ شعيب 28/460 ـ 462). [↑](#footnote-ref-15)
15. () ينظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى له 13/366 ، وتفسير القرآن العظيم 1/10 ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي 2/391 ، والتفسير والمفسرون 1/130 . [↑](#footnote-ref-16)
16. () مقدمة في أصول التفسير 13/367 . وينظر : تفسير القرآن العظيم 1/10 . [↑](#footnote-ref-17)
17. () هذا قول ابن حبان . (ينظر : صحيح ابن حبان 14/149 ـ 150) . [↑](#footnote-ref-18)
18. () فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر 6/498 ـ 499 . [↑](#footnote-ref-19)
19. () رواه أحمد في مسنده 3/387 . [↑](#footnote-ref-20)
20. () ضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند 23/349 . [↑](#footnote-ref-21)
21. () التحرير والتنوير لابن عاشور 1/403 . [↑](#footnote-ref-22)
22. () سفر التكوين 1 : 24ـ26 . [↑](#footnote-ref-23)
23. () رواه أحمد في المسند 2/327 ، ومسلم في صحيحه 4/2149 برقم (2789 ) . [↑](#footnote-ref-24)
24. () التحرير والتنوير 1/384 . [↑](#footnote-ref-25)
25. () سفر التكوين 1 : 6 ـ 10 . [↑](#footnote-ref-26)
26. () التحرير والتنوير 1/499 . [↑](#footnote-ref-27)
27. () ينظر : سفر التثنية 34 : 6. [↑](#footnote-ref-28)
28. () البقرة : 55 . [↑](#footnote-ref-29)
29. () الكشاف 1/271 . [↑](#footnote-ref-30)
30. () هذا النص نقله ابن عاشور بتصرف شديد .( ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 1/115) . [↑](#footnote-ref-31)
31. () من ذلك ما جاء في سفر التثنية 5 : 22 :"هذه الكلمات كلم الله بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب .." . [↑](#footnote-ref-32)
32. () التحرير والتنوير 1/508 . [↑](#footnote-ref-33)
33. () ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري 1/691 ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 1/111 ـ 112 . [↑](#footnote-ref-34)
34. () روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للآلوسي 1/262 . [↑](#footnote-ref-35)
35. () التحرير والتنوير 1/508 . [↑](#footnote-ref-36)
36. () البقرة : 57 . [↑](#footnote-ref-37)
37. () ينظر : سفر الخروج : الإصحاحات 16 ـ 33 ، وسفر العدد : الإصحاح 9 . [↑](#footnote-ref-38)
38. () كذا قال ، والذي وجدته في النسخة التي بين يدي من التوراة :"في اليوم الخامس عشر" . (سفر الخروج 16 : 1) . [↑](#footnote-ref-39)
39. () التحرير والتنوير 1/509 . [↑](#footnote-ref-40)
40. () لابد لي هنا من أن أشير إلى أن سؤالهم رؤية الله جهرة ذُكر قبل تظليل الغمام ونزول المن والسلوى في القرآن الكريم . إلا أن المعروف من منهج القرآن في القصص أنه لا يلتزم بذكر الأحداث مرتبة . [↑](#footnote-ref-41)
41. () البقرة : 59 . [↑](#footnote-ref-42)
42. () التحرير والتنوير 1/512ـ513 . والنص الذي نقل منه في التوراة هو في سفر الخروج 16 : 14 . [↑](#footnote-ref-43)
43. () التحرير والتنوير 1/513ـ514 . [↑](#footnote-ref-44)
44. () التحرير والتنوير 1/513 (الهامش) . [↑](#footnote-ref-45)
45. () تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/419 . [↑](#footnote-ref-46)
46. () المصدر نفسه 1/422 . [↑](#footnote-ref-47)
47. () رواه البخاري في الصحيح 3/1248 (3222) ، ومسلم في الصحيح 4/2312 (3015) . [↑](#footnote-ref-48)
48. () البقرة : 61 . [↑](#footnote-ref-49)
49. () ينظر : سفر العدد : الإصحاح 11 . [↑](#footnote-ref-50)
50. () التفسير من كلام ابن عاشور ، وليس من التوراة . [↑](#footnote-ref-51)
51. () التحرير والتنوير 1/521 ـ 522 . [↑](#footnote-ref-52)
52. () البقرة : 60 . [↑](#footnote-ref-53)
53. () التحرير والتنوير 1/518 . [↑](#footnote-ref-54)
54. () البقرة : 61 . [↑](#footnote-ref-55)
55. () ينظر : سفر العدد 11 : 5 . [↑](#footnote-ref-56)
56. () التحرير والتنوير 1/522 ـ 523 . [↑](#footnote-ref-57)
57. () البقرة : 60 . [↑](#footnote-ref-58)
58. () القصة مذكورة في التوراة في سفر الخروج 17 : 1 فما بعدها . [↑](#footnote-ref-59)
59. () التحرير والتنوير 1/517 . [↑](#footnote-ref-60)
60. () وقد صرح ابن عاشور بهذا في تفسيره لقوله تعالى : وإذْ قُلْنا ادْخُلوا هذه القَرْيةَ ... [البقرة : 58] إذ يقول :"ولعلم المخاطبين بما عنته الآية اختُصر فيها الكلام ..." . [التحرير والتنوير 1/512] . [↑](#footnote-ref-61)
61. () البقرة : 63 . [↑](#footnote-ref-62)
62. () سفر الخروج 19 : 16 و18 ، وسفر التثنية 4 : 11 . وقد ذكر ابن عاشور أن وصف ذلك في الفصل الخامس من سفر التثنية ، ولم أقف عليه هناك بل وقفت عليه في الإصحاح (الفصل) الرابع ، فلعله سبق قلم من ابن عاشور . [↑](#footnote-ref-63)
63. () الأعراف : 171 . [↑](#footnote-ref-64)
64. () التحرير والتنوير 1/541 . [↑](#footnote-ref-65)
65. () جامع البيان 2/51 . [↑](#footnote-ref-66)
66. () ينظر : المصدر نفسه 2/48 ـ 49 ، والتفسير الكبير للرازي 3/115 ، والجامع لأحكام القرآن 2/163 ـ 164 ، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان 1/406. [↑](#footnote-ref-67)
67. () الأعراف : 171 . [↑](#footnote-ref-68)
68. () مجاز القرآن لأبي عبيدة 1/232 ، وينظر : تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي 1/192 . [↑](#footnote-ref-69)
69. () الكشاف 2/529 . [↑](#footnote-ref-70)
70. () التأويل : هو صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى يحتمله لدليل يقتضي ذلك . (ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي 3/437 ، ومعجم أصول الفقه للأستاذ خالد رمضان حسن : 77 . [↑](#footnote-ref-71)
71. () كذا قال ، والذي وجدته في العهد القديم في الإصحاح الثاني والعشرين الفقرة الثامنة فما بعدها . [↑](#footnote-ref-72)
72. () التحرير والتنوير 1/578 . [↑](#footnote-ref-73)
73. () البقرة : 79 . [↑](#footnote-ref-74)
74. () ينظر : الكشاف 2/251 ، والتفسير الكبير للرازي 16/35 ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/349 . [↑](#footnote-ref-75)
75. () ينظر : جامع البيان 11/409 . [↑](#footnote-ref-76)
76. () التحرير والتنوير 1/684 . [↑](#footnote-ref-77)
77. () المائدة : 18 . [↑](#footnote-ref-78)
78. () التحرير والتنوير 6/155ـ 156 . [↑](#footnote-ref-79)
79. () هذا الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده 6/106 برقم (3370) و6/194 برقم (3478) من حديث أنس بن مالك ، به مرفوعاً . وقال فيه الهيثمي :"وفيه يوسف بن عطية الصَّفَّار وهو متروك" (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي 8/349 حديث رقم 13706) .

    وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير 10/86 (10033) من حديث عبدالله بن مسعود ، به مرفوعاً . وقال فيه الهيثمي: "وفيه عمير وهو أبو هارون القرشي متروك" . (مجمع الزوائد 8/349 حديث رقم 13707) . [↑](#footnote-ref-80)
80. () البقرة : 159 . [↑](#footnote-ref-81)
81. () ينظر : سفر الخروج 24 : 3 وما بعدها . [↑](#footnote-ref-82)
82. () التحرير والتنوير 2/68 . [↑](#footnote-ref-83)
83. () ذكر المفسرون أنها نزلت في أهل الكتاب . (ينظر : جامع البيان 2/52 ـ 53) . [↑](#footnote-ref-84)
84. () آل عمران : 187 . [↑](#footnote-ref-85)
85. () البقرة : 178 . [↑](#footnote-ref-86)
86. () ينظر : صحيح البخاري 4/1636 (4228) . [↑](#footnote-ref-87)
87. () كذا قال ! والنص الذي ذكره وقفت عليه في سفر الخروج ـ الإصحاح 21 : 12ـ13 . [↑](#footnote-ref-88)
88. () التحرير والتنوير 2/143 . [↑](#footnote-ref-89)
89. () التحرير والتنوير 3/35 . [↑](#footnote-ref-90)
90. () المصدر نفسه . [↑](#footnote-ref-91)
91. () ينظر : سفر حزقيال 37 : 1 ـ 11 . [↑](#footnote-ref-92)
92. () التحرير والتنوير 3/235 . [↑](#footnote-ref-93)
93. () ينظر : إنجيل لوقا 1: 36 . [↑](#footnote-ref-94)
94. () رواه البخاري في الصحيح 3/1263 برقم (3247) . [↑](#footnote-ref-95)
95. () ينظر : جامع البيان 5/349 و352 . [↑](#footnote-ref-96)
96. () ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3/52 . [↑](#footnote-ref-97)
97. () ينظر : تفسير عبدالرزاق الصنعاني 1/121 ، وجامع البيان 5/350 . [↑](#footnote-ref-98)
98. () ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر 6/468 . [↑](#footnote-ref-99)
99. () آل عمران : 82 . [↑](#footnote-ref-100)
100. () التحرير والتنوير 3/298 . [↑](#footnote-ref-101)
101. () ينظر : سفر التثنية : الإصحاح 18 : 9 ـ 12 ، وقد نقل ابن عاشور هذا النص بتصرف يسير . [↑](#footnote-ref-102)
102. () التحرير والتنوير 1/632 . [↑](#footnote-ref-103)
103. () ينظر : صحيح البخاري 5/2081 برقم (5152) . [↑](#footnote-ref-104)
104. () التحرير والتنوير 1/631 ـ 632 . [↑](#footnote-ref-105)
105. () التحرير والتنوير 1/432 . والنص الذي يشير إليه ابن عاشور في التوراة هو في سفر التكوين 2 : 16 ـ 17. [↑](#footnote-ref-106)
106. () ينظر : سفر الخروج 16 : 14 . [↑](#footnote-ref-107)
107. () التحرير والتنوير 1/509 . [↑](#footnote-ref-108)
108. () البقرة : 60 . [↑](#footnote-ref-109)
109. () ينظر : سفر الخروج 17 : 1 وما بعدها . [↑](#footnote-ref-110)
110. () التحرير والتنوير 1/518 . [↑](#footnote-ref-111)
111. () ينظر : الكشاف للزمخشري 1/274 . [↑](#footnote-ref-112)
112. () ينظر : جامع البيان 2/6 ـ 8 ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 1/87 . [↑](#footnote-ref-113)
113. () ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي 1/152 . [↑](#footnote-ref-114)
114. () ينظر : جامع البيان 1/6 . [↑](#footnote-ref-115)
115. () التحرير والتنوير 1/701 . وينظر : سفر التكوين 11 : 10 ـ 27 . [↑](#footnote-ref-116)
116. () التحرير والتنوير 1/701 . وينظر : سفر التكوين 17 : 5 . [↑](#footnote-ref-117)
117. () التحرير والتنوير 2/364 . وينظر : سفر اللاويين 15 : 19 ـ 24 . [↑](#footnote-ref-118)
118. () رواه أحمد في مسنده 3/132 برقم (12376) ، ومسلم في صحيحه 1/246 برقم (302) . [↑](#footnote-ref-119)
119. () آل عمران : 39 . [↑](#footnote-ref-120)
120. () ينظر : إنجيل لوقا 1 : 11 ـ 13 . [↑](#footnote-ref-121)
121. () التحرير والتنوير 3/239 . [↑](#footnote-ref-122)
122. () ليس في التوراة :"فعلم أنه ربه ..." ، وإنما الذي فيها :"وصارعه إنسان" (سفر التكوين 32 : 24) ، فلعل هذه العبارة استنتاج لمفسري التوراة لأن يعقوب طلب منه أن يباركه . [↑](#footnote-ref-123)
123. () التحرير والتنوير 1/450 ـ 451 . [↑](#footnote-ref-124)
124. () لاحظ هنا أنه نسب القول إلى اليهود . [↑](#footnote-ref-125)
125. () سفر التكوين 3 : 22 . [↑](#footnote-ref-126)
126. () سفر التكوين 6 : 5 ـ 7 . [↑](#footnote-ref-127)
127. () ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي 1/348 . [↑](#footnote-ref-128)
128. () التحرير والتنوير 1/571 . [↑](#footnote-ref-129)
129. () البقرة : 76 . [↑](#footnote-ref-130)
130. () التحرير والتنوير 1/571 . [↑](#footnote-ref-131)
131. () البقرة : 102 . [↑](#footnote-ref-132)
132. () التحرير والتنوير 1/630 . وينظر : سفر الملوك الأول ـ الإصحاح 11: 1 ـ 11 ، ويلاحظ في هذه الفقرات انتقاص شديد لسيدنا سليمان عليه السلام مثل قولهم :"ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" و "وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه" و "فقال الرب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك" . فلعنة الله على من وضع هذا ونسبه إلى الرب سبحانه . [↑](#footnote-ref-133)
133. () البقرة : 102 . [↑](#footnote-ref-134)
134. () التحرير والتنوير 1/642 . [↑](#footnote-ref-135)
135. () أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/372 . [↑](#footnote-ref-136)
136. () ينظر : المسند للإمام أحمد بن حنبل 2/134 (6178) . [↑](#footnote-ref-137)
137. () التحرير والتنوير 1/642 . [↑](#footnote-ref-138)
138. () ينظر : تفسير القرآن العظيم 1/523 ـ 525 ، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث لمحمد بن محمد أبو شهبة : 159 ـ 166 . [↑](#footnote-ref-139)
139. () روى القصة عن كعب الأحبار عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره 1/53 . [↑](#footnote-ref-140)
140. () هو طالوت . [↑](#footnote-ref-141)
141. () التحرير والتنوير 2/492 . [↑](#footnote-ref-142)
142. () التحرير والتنوير 12/494ـ 495 . وينظر : سفر صموئيل 6 : 7ـ 15 . [↑](#footnote-ref-143)
143. () ينظر : سفر التكوين 5 : 4 وما بعدها . [↑](#footnote-ref-144)
144. () ينظر : سفر التكوين 5 : 3. [↑](#footnote-ref-145)
145. () التحرير والتنوير 3/230 . [↑](#footnote-ref-146)
146. () سورة عمران : 41 . [↑](#footnote-ref-147)
147. () ينظر : إنجيل لوقا 1 : 18 ـ 20 . [↑](#footnote-ref-148)
148. () التحرير والتنوير 3/242 . [↑](#footnote-ref-149)
149. () التحرير والتنوير 16/281 . [↑](#footnote-ref-150)